الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

تشكيل الصورة في شعر "أحمد سحنون"
- نماذج مختارة -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
أمال دحماني
نور الهدى قطاش

إشراف:
أ.د : رابح ملوك

_لجنة المناقشة:

1- أ/	**جامعة البويرة**	**رئيسا**
2- أ/ رابح ملوك	**جامعة البويرة**	**مشرفا ومقررا**
3- أ/	**جامعة البويرة**	**مناقشا**

السـنة الجامعـية: (2020/2019)

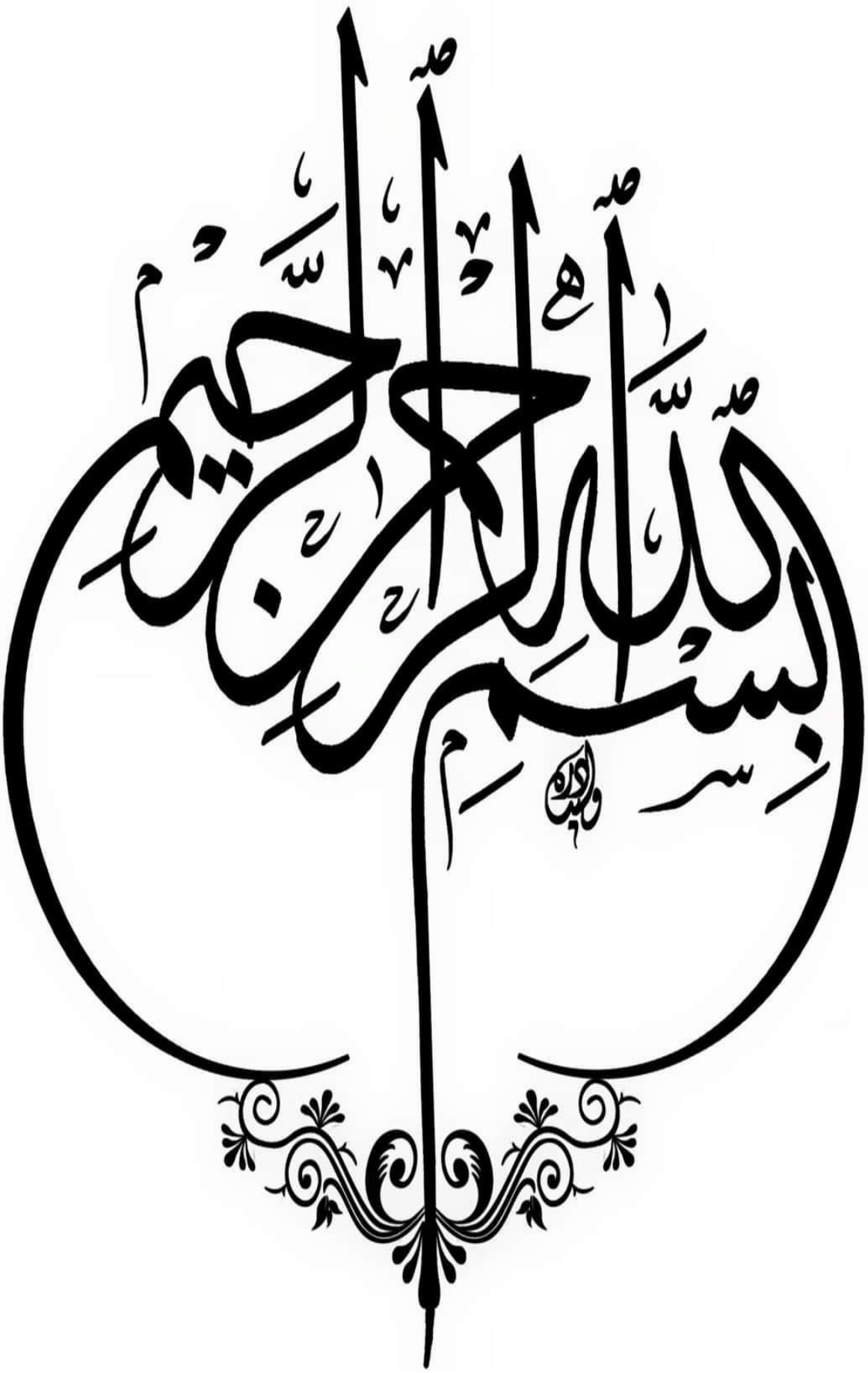
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

الحمد لله الذي وفّقني لانجاز هذا العمل المتواضع، والذي أهديه إلى

من ربتني وضحّت من أجلي دون كلل أو ملل

إلى من سلكت دروب الحياة الوعرة والكبرياء والشموخ

إلى القلب الذي شملني بأسمى آيات الحب والحنان

إلى من بخلت على نفسها بالراحة لأنعم بها، وأنارت لي طريق النجاح بدعائها

إلى التي لا أستطيع أن أوفيها حقّها مهما قلت ومهما فعلت

إلى **الغالية أمي الحبيبة**

إلى من غطّى التراب جسده وحرمني الدّهر نبرات صوته

إلى من نقش اسمه في روحي وكلماته في عروقي

إلى العزيز على قلبي رحمه الله وألهمني الصبر على فراقه

إلى **روح أبي الغالي**

إلى الأعزاء على قلبي إخوتي وأخواتي

إلى كل من ارتشفت معهم كأس المحبة والأخوة والصداقة

وكان لي معهم أغلى الذكريات وأجمل اللحظات أصدقائي وصديقاتي

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينسهم قلبي

إلى كل من قدّم لي العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل.

أمـــــــــــال

إهـداء

إلى من جرع الكأس فارغة ليسقيني قطرة حب

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

أبي رحمه الله

إلى باعثة العزم والتصميم والإرادة

صاحبة البصمة الصادقة في حياتي

أمي الحبيبة بارك الله في عمرها

إلى رفيق البيت الطاهر

أخي الحبيب "حسين"

إلى رفيق العمر وسندي في الحياة

زوجي "عبد السلام"

إلى كل من علمني حرفا

أساتذتي الكرام

أهدي هذا العمل.

نـور الهـدى

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

نشكر الله العلي القدير شكرا جزيلا طيبا مباركا فيه

الذي أنارنا بالعلم وزيننا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وأنعم علينا بالعافية، وأنار طريقنا

ووفقنا في إتمام هذه المذكرة

فله الحمد والشكر هو الرحمن المستعان

ونتقدم بخالص الشكر وكامل الاحترام للأستاذ المحترم

"**رابح ملوك**" الذي قبل تواضعا وكرامة الإشراف على هذا العمل

فله خالص التحية والتقدير على كل ما قدمه لنا من إرشادات

وعلى كل ما خصنا به من جهد ووقت

وإلى كل من مد لنا يد العون ولو بكلمة طيبة

شكرا جزيلا.

أمـــــال ونـور الـهدى

مـقدمـة

تحتل الصورة الشعريّة مكانة بارزة في الشعر والنّقد على حد سواء فهي جزء لا يتجزأ من التجربة الشعريّة، فقد كانت حاضرة في الشعر القديم وازداد حضورها في الشعر الحديث، وعلى الرغم من اختلاف النقاد والاتجاهات الفكرية حولها إلاّ أنّها تبقى عنصرا جوهريا في بناء الشعر، وتستمد أهميتها من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي إذ تجعله يُشارك في بناء المعنى وتأمله دون وعي منه وبهذا ينشط ذهنه مما يحقق له متعة وجمالية خاصة, وبواسطتها تتجسد الأحاسيس والأفكار، وتتجلى قدرة الشاعر ومهاراته الإبداعية.

و"أحمد سحنون" كغيره من معاصريه استمد مقطوعاته الشعرية من واقعه المحسوس، حيث تأثّر شعره بكل المظاهر والجوانب الحياتية المحيطة به، علما أنّ الصورة الشعريّة عنده كانت وليدة الملاحظة العينيّة للمشاهد الواقعية.

تكمن أهمية هذه الدراسة في القيمة التي تحملها الصورة الشعريّة كموضوع كان ولا يزال محل اهتمام الباحثين والنقاد في الساحة النقديّة الأدبيّة الغربيّة والعربيّة، وكذا لقيمة الشاعر "أحمد سحنون" في الجزائر كونه كان مُصلحاً وشاعرا مُجيدا.

ومما دفعنا إلى اختيار موضوع " تشكيل الصورة الشعرية عند أحمد سحنون –نماذج مختارة–" هو إعجابنا بهذا الشاعر، ورغبتنا في التعريف بشعره، فالمعروف عنه أنّه رجل إصلاح ودين وأحد أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين غير أنّ شعره غير معروف بالشكل الذي يستحقه، وكذا رغبة منا للتعرف على أهم المصادر التي ألهمته في تشكيل صوره الشعرية وصياغتها.

أسلفنا القول أن الشاعر "أحمد سحنون" تأثر كثيرا بمظاهر الحياة اليومية المحيطة به مما انعكس على شعره، انطلاقا من هذا وبُغية تقصي مصادر تشكيل صوره الشعرية نطرح التساؤلات التالية: ما هو التشكيل؟، وما الصورة الشعرية؟، وكيف تطور مفهومها عبر الزمان؟، وفيم تكمن أهميتها؟، وما المصادر المُشكلة للصورة الشعرية عند أحمد سحنون؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات إرتأينا تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وفصلين وخاتمة وملحق شمل تعريفا بالشاعر وأهم انجازاته ، فجاء الفصل الأول بعنوان " مفاهيم نظرية حول تشكيل الصورة الشعرية" تطرقنا فيه إلى التعريف بمفهوم التشكيل وكذا مفاهيم الصورة الشعرية المختلفة باختلاف المذاهب والأزمان، إضافة إلى ذكر خصائصها وعناصرها وأهميتها.

أمّا الفصل الثاني فقد حمل عنوان "مصادر تشكيل الصورة عند أحمد سحنون" وانقسم إلى ثلاثة عناصر، جاء الأوّل بعنوان "التراث الديني" وقد عمدنا فيه إلى دراسة مدى استخدام "أحمد سحنون" للقرآن الكريم سواء بلفظه أو بمعناه –في شعره–، وكذا استخدام الحديث النبوي الشريف وكل ما تعلق بالدين قيماً ورمزاً، أما العنصر الثاني فجاء بعنوان "بالمظاهر الطبيعية" وتطرقنا فيه إلى الصور الشعرية المستوحاة من الطبيعة بشقيها الصامت والمتحرك وتأثيرها كونها مصدر مهم من مصادر تشكيل الصور الشعرية، أمّا العنصر الثالث فجاء بعنوان "المظاهر الاجتماعية" والذي تضمن أهم المواضيع الاجتماعية التي شغلت الشاعر وأسهمت في تكوين صوره الشعرية لديه, ثُم جاءت خاتمة البحث لتجمع ما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة.

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لتحديد العينات (الصور الشعرية) وتحليلها وهذا ما يتناسب مع موضوعنا "تشكيل الصورة عند أحمد سحنون –نماذج مختارة–".

واستعنا في انجاز هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع من بينها: "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب لـ جابر عصفور"،"الصورة الفنية في شعر علي الجارم لـ إبراهيم أمين الزرزموني"،"الصورة الأدبية لـ علي صبح".

في الختام، نرجو التوفيق والسداد من الله عز وجل، دون أن ننسى الشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور "**رابح ملوك**" على إشرافه ومتابعته المستمرة لنا في سبيل تحقيق ما نصبو إليه.

الفصل الأول

مفاهيم نظرية حول تشكيل الصورة الشعرية

1: مفهوم التشكيل:

لا يخفى على باحث أن فهم المصطلحات هو نصف العلوم، فلكي نُجيد علمًا وجب علينا إدراك مصطلحاته أوّلا، فهي مفاتيح العلوم التي لا غنى للمريد عنها، ومن أهم المصطلحات التي أخذت حيزا واسعا من الدراسة والبحث مصطلح "التشكيل" وهذا لما له من مفاهيم متعددة ومتشعبة.

أ) المفهوم اللغوي:

إنّ المفهوم اللّغوي للتشكيل لا يخلو من المعاجم العربية، وهو يشتق من الجذر اللغوي (شكل وتشكيل)، فقد ذُكر في لسان العرب أنّ: "الشَكْلُ بالفتح: الشّبه والمثل، والجمع أشكال وشُكُولٌ، والشكْل: المِثْل، تقول: هذا على شكل هذا أي على مثاله، وفلان شكْلُ فلان أي مثله في حالاته، وشَكْل الشيء: صورته المحسوسة والمتوهمة، وتَشَكَّل الشيء: تصوَّر، وشَكَّلَهُ: صوَّرَه"[1]، هذا يعني أنّ مفهوم التشكيل يرتبط بالتمثيل والتصوير.

وجاء في معجم العين: "الشَّكْل: المِثْلُ. يقال: هذا على شَكْل هذا أي: على مِثْل هذا"[2]، ومعناه أن الشكل يقصد به المثل.

وفي القاموس المحيط: "الشَّكْلُ: الشَّبَهُ والمِثْلُ، وصُورَةُ الشَّيءِ المَحْسُوسَة والمُتَوهمَة، تَشَكَّلَ: تَصَوَّرَ، وشَكَّلَه تَشْكِيلَا: صَوَّرَهُ"[3]، فمفهوم التشكيل يتصل بالجانب التمثيلي والتصويري.

وعرف في أساس البلاغة: "شكل: هذا شكله أي مثله، وقلّت أشكاله، وهذه أشكال وشكول، وهذا

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1999م، ص 176.

[2]: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج2، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص 349.

[3]: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط8، 2005م، ص 1019.

من شكل ذاك: من جنسه"[1]، يقصد بالشكل هنا المثل والجنس.

من خلال هذه التعريفات نستنتج أنّ المفهوم اللغوي للتشكيل يرتبط بالجانب التصويري والتمثيلي، وهو يهتم بالمظهر الخارجي للشيء.

ب) المفهوم الاصطلاحي:

يعد التشكيل من المصطلحات النقدية الحديثة المتداولة بين النقاد والباحثين، وهذا لماله من أهمية بالغة في بناء القصيدة الجيدة، فقد عرفه "جون كوين" أنّه: "مجموع العلاقات التي يستقطبها كل عنصر بأداء وظيفته اللغوية"[2]، وهذا يعني أنّ المعنى الحقيقي للتشكيل لا يتحدد ولا تكتمل صورته، إلّا بوجود عناصر أخرى تتداخل وتترابط فيما بينها لتكسبه معناه.

وأجمع النقاد أن التشكل هو "الصيرورة التي تؤول إليها الأشياء والمكونات لتحقق وحدة متماسكة مترابطة، ووجودا جديدا تحقق فيه مبادئ المزج، والتوليف والتنظيم والتنوع والتوازن والتناغم والإيقاع والانسجام، فعلها الفني يمثل نزوعا جماليا لتحقيق التشكّل، وتمثّل هذه المبادئ قيم السلوك الفني، وتقاليده الهادفة لتكوين التشكيل وتحقيق وجوده"[3]، فالتشكيل هو أهم مقومات القصيدة وهو الذي يكسبها طابعا جماليا فريدا.

من خلال هذه التعريفات نستنتج أنّ التشكيل هو العنصر الأساسي والرئيسي في بناء القصيدة، فهو وحدة تداخل وانسجام العناصر المشكّلة لها، وبذلك يمكن القول أنّ "الشعر هو أعقد الفنون على الإطلاق من حيث طرائق التشكيل وماهيتها فكل الفنون الأخرى تعتمد على تشكيل مادة معيّنة

---

[1]: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 517.

[2]: جون كوين، النظرية الشعرية، ت: أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 50.

[3]: محمد الأمين شيخة، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث، أطروحة دكتوراه، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009/2008م، ص 19، 20.

في وسط محدّد، فالرّسم هو تشكيل المساحات اللونية في المكان، والنحت تشكيل الكتلة في الفراغ، والموسيقى تشكيل الدرجات الصوتية في الزمان، أمّا فيما يتعلّق بالشعر فليس لدينا تعبير يمكن أن يصف التشكيل فيه بهذه البساطة التي نجدها في الفنون الأخرى[1].

أمّا الصورة فهي "التشكيل النهائي لكل شيء بالفعل واكتساب المادة من حيث كونها قوّة صرفة وجودها النهائي، وهذه القوّة قبل التشكيل هي مادة وماهية، وعند التشكيل أصبحت صورة"[2]، فالصورة هي الحصيلة النهائية لمجموع التشكيلات المحدثة في القصيدة.

2: مفـــهوم الصـــورة:

من أهم المصطلحات التي شاع ذكرُها في الأدب والنقد مصطلح "الصورة الشعرية"، الذي على الرغم من حداثته إلا أن له جذورا في النقد العربي القديم، غير أنّ هناك صعوبة في إيجاد تعريف شامل له، ذاك "أن هذه الصعوبة كامنة في المصطلحات الأدبية جميعا، على الرغم من إحساسنا بفهم المصطلح"[3]، فمصطلح الصورة الشعرية سهل مُمتنع حيث يظهر للباحث في الوهلة الأولى أنه مُدرك لمعناه لكنه يكتشف فيما بعد أنه لم يحط بكل جوانبه وذلك لتعدد واختلاف مفاهيم النقاد حوله.

أ) <u>المفهـوم اللّـغوي:</u>

تحمل لفظة "الصورة" دلالات عديدة أهمها:

ما جاء في لسان العرب:"الصورة في الشكل، والجمع صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوْرٌ، وقد صَوَّرَه فَتَصَوَر.

---

[1]: ثائر العذري، في تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010م، ص 113.

[2]: سمير علي سمير الدليمي، الصورة في التشكيل الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، ط1، 1990م، 05.

[3]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة والنشر، 2000م، ص 91.

وتصورتُ الشيء: توهمتُ صورته، فتصوَّر لي، والتّصاوير: التماثيل والصورة: حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته"[1]، فمفهوم الصورة عند ابن منظور ارتبط بالشكل الظاهر الذي يُعرف بالعين سواء أكان شكلا حقيقيا أم مُتوهما.

وورد في معجم مقاييس اللغة أنّ: "الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقته"[2]، فالصورة ترتبط أساسا بهيئة المخلوقات جميعا.

وفي القاموس المحيط: "الصورة بالضم: الشّكل جمع: صُوَرٌ وصِوَرٌ كعِنَب وصُوْرٌ، وقد صوَّره فتصوَّر، وتستعمل الصورة بمعنى النّوع والصّفة"[3]، من خلال هذا التعريف يمكن القول أن الصورة تعني الشّكل والنّوع والصفة.

والصورة في المعجم الوسيط هي: "الشكل والتمثال المجسّم، وفي التنزيل العزيز:(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)، وصورة المسألة أو الأمر: صفتها، وصورة الشيء ماهيته المجرّدة وخياله في الذّهن والعقل"[4]، هذا يعني أنّ الصورة هي الشكل والتمثال، والمسألة والأمر.

أما في قاموس محيط المحيط: "تصوّر الشيء تصوُّراً توهَّم صورتهُ فتصوَّر لهُ أي صارت صورةٌ وشكلٌ، والصّورة الشكل وكل ما يصوّر مشبها بخلق الله من ذوات الأرواح وغيرها، فالصورة مائلة إلى شبهٍ وهيئة ج صُوَر وصِوَر وصُوْر، وتستعمل الصّورة بمعنى النّوع والصفة ومنه يقال صورة

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 438.

[2]: ابن الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج3، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والتوزيع، مصر، ط2، 1969م، ص 320.

[3]: مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 427.

[4]: إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص 528.

العقل كذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا أي صفته، والتصاوير التماثيل"[1]، فالصورة من خلال هذا التعريف تعني الشكل والهيئة والنوع والصفة.

وفي مختار الصحاح ورد أنّ الصورة هي التمثال والشكل: "(تصورْت) الشيء توهمت (صورته فتصوَّرَ) لي، والتصاوير التماثيل"[2]، فالصورة في جوهرها هي الشكل الظاهر أو المتخيّل الذي يتوهمه الشخص.

وفي نفس الشأن يقول "علي صبح": "فمادة (الصورة) بضم الصاد، بمعنى الشكل، فصورة الشجرة شكلها، وصورة المعنى لفظه، وصورة الفكرة صياغتها، وعلى ذلك تكون الصورة الأدبية هي الألفاظ والعبارات التي ترمز إلى المعنى وتجسيم الفكرة فيها"[3]، معناه أنّ الصورة في مفهومها العام تعني الشكل العام للأشياء، أما الصورة الأدبية فهي دالة على الألفاظ والعبارات المُصورة للمعنى والمُجسّدة للفكرة.

أمّا معجم الرائد فقد اشتمل على كل المعاني والدلالات التي تحملها الصورة، فهي: " جمع صُوَر وصِوَر وصُوْر.1- الشّكل. 2- الوجه. 3- كل ما يصوَّر. 4- الصّفة. 5- النّوع. 6- في الفلسفة: ما به الشيء هو صفات الشيء المميّزة، وباتّصال الصورة بالهيولي تتم عملية الخلق"[4]. فمعجم الرائد كان جامعا لكل المفاهيم والدلالات التي تحملها الصورة وأوضح لنا أنّها جمع لصُوَر وصِوَر وصُوْر، وأنّها تعني الشّكل، الوجه، كلّ ما يصوّر، الصفة، النوع بالاضافة إلى مفهومها الفلسفي(الهيولي) والذي تؤدي عملية الاتصال به إلى حصول عملية الخلق.

---

[1]: بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 524.

[2]: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، ص 156.

[3]: يُنظر: علي صبح، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د ط، ص 03.

[4]: جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، لبنان، ط7، 1992م، ص 503.

من خلال هذه التعريفات نستخلص أن الصورة في مفهومها اللغوي أخذت معنى الشكل، والهيئة، والنوع، فالصورة في مجملها تعني شكل الإنسان والمخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، ويظهر هذا في قوله عز وجل: "وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبات ذَلِكُم رَبُكُمُ اللّهُ فَتَبَارَك اللّهُ رَبُّ العَالَمِين"[1]، وقوله سبحانه: "الّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ"[2].

أمّا في شقها الأدبي فهي تعكس الأحاسيس والمشاعر التي تختلج في نفس الشاعر والذي يصوغها في شكل ألفاظ مختلفة، فهذا الأخير عند تشكيله للصور الشعرية يعتمد على مصادر (دينية، ثقافية، طبيعية، تراثية...) مشتركة بينه وبين المتلقي وقريبة إلى ذهنه وقلبه، فهو في كل الأحوال ابن بيئته ومنها يستمد مصادر إلهامه.

ب) <u>المفهوم الاصطلاحي:</u>

تعدّ الصورة الشعرية من أهمّ المصطلحات التي نالت حظّها من الدراسة والتحليل، ذلك أنّها لُبّ القصيدة وجوهرها الذي ينقل التجربة الشعرية من الشاعر إلى المتلقي، وقد عرفت بمسمّيات عديدة منها: الصورة الفنية، التصوير في الشعر، الصورة الأدبية، الصورة الشعرية.

وقد اختلفت مفاهيم الصورة باختلاف اتجاهات مُريديها وتصوّراتهم، فكل واحد منهم يعرّفها حسب رؤيته ومنظوره الخاص، لكنّهم اختلفوا في قضية تأصيل المصطلح، ومنهم من دافع عن أصالته في نقدنا العربي ومنهم من تعصّب لحداثته ونفى عن العرب معرفتهم له.

ومن المعلوم أنّ لفظة (الصورة) قد ورد ذكرها في تراثنا النقدي والبلاغي القديم، وهذا ما يؤكّد أسبقية العرب في دراسة هذا الموضوع، وفيما يلي عرض لبعض آراء النقاد والقدماء الذين كانت لهم جهود بارزة في هذا الصدد.

---

[1]: سورة غافر، الآية 64.

[2]: سورة الانفطار، الآية 07 و 08.

3: مفهوم الصورة الشعرية عند النقّاد القدامى والمحدثين:

أ) *عند النقاد القدامى*:

تعد الصورة الشعرية من أهم الوسائل التي يستعملها الشعراء في بناء قصائدهم ليجسّدوا من خلالها أحاسيسهم ومشاعرهم، ويعبّروا عن أفكارهم وتصوراتهم، وللصورة مفاهيم عديدة ومختلفة باختلاف الأزمنة، فمفهومها في القديم غير مفهومها في النقد الحديث.

ويعتبر "الجاحظ" أوّل من أشار إلى مصطلح التصوير من خلال نظريته الشعرية التي يصف فيها الخصائص المميّزة للشعر إذ يقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرويُّ، والمدنيُّ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطّبع، وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير "[1].

فالجاحظ يرى أن المعاني نابعة من التجارب الإنسانية، وهذا ما يشترك فيه العربي والعجمي والقروي والبدوي، لكن الجودة تكمُن في التصوير الذي يُعطي قيمة فنية وجمالية للشعر من خلال "قدرته المتميّزة على مخاطبة إحساسات المتلقي، وإثارة صور ذهنية في مخيّلته"[2].

وهذه الفكرة تعد اللبنة الأولى أو المقدمة الأولى للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى[*]، كما أشار الجاحظ هنا أيضا إلى ثنائية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد كثيرا آنذاك، فالشعر عنده ليس معاني فقط وإنما صياغة جميلة أساسها التصوير.

---

[1]: الجاحظ، الحيوان، ج3، تح: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965م، ص131-132.

[2]: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط3، 1992م، ص10.

[*] التقديم الحسي للمعنى: أو التجسيم، عنصر مشترك بين الشعر والرسم لأنهم يقدمان المعنى بطريقة بصرية.

بعد "الجاحظ" نجد "قدامى بن جعفر" الذي اعتبر الصورة الوسيلة أو السبيل لتشكيل المادة وصوغها كغيرها من الصناعات إذ يقول: "إنّ المعاني كلها معرّضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادّة الموضوعة، والشعر فيها كالصّورة، كما يوجد في كل صناعة من أن لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة والفضّة للصياغة"[1].

ومعنى هذا أن الشعر صورة للمعاني، والمعاني هي مادة الشعر، والشاعر المُجيد هو الذي يبدع في الشكل واللّفظ، أما المعاني فهي معروضة كلها له ولا علاقة لها بجودة الشعر أو رداءته، حيث يرى أن الشعر صناعة كأي صناعة فيها المادة الخام تكتسب أهميتها عندما تتشكل في صورة محددة، وبالتالي فجودة التصوير تؤدي إلى جودة الشعر.

كما أن "قدامة ابن جعفر" مثله مثل الجاحظ "لم ينقل التصوير من إطار استخدامه في المدلولات الحسية ليصبح مصطلحا نقديا، بل وقف في ذلك عند حدّ قياس الأشياء ذات المدلولات الذهنية على الأشياء ذات المدلولات الحسية"[2].

أما "ابن طباطبا العلوي" فقد أشار للصورة من خلال حديثه عن إشكالية اللّفظ والمعنى إذ يعتبر أن الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه، كما قال بعض الحكماء الكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه ويقول في هذا الشأن: "فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة مُجتلبة لمحبة السامع له، والناظر بعقله إليه، مستدعية لعشق المتأمّل في محاسنه، والمفترس في بدائعه، فيحسّه جسما ويحقّقه روحاً، ويسوي أعضاءه وزناً ويعدل أجزاءه

---

[1]: قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، 1963م، ص 17.

[2]: يُنظر: زكية خليفة مسعود، الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط1، 1999م،ص 16.

تأليفا ويُحسن صورته إصابةً"[1]، الملاحظ مما سبق أن "ابن طباطبا" ركز في مفهومه للصورة على الصورة الحسية وعلى وجوب ملائمة معاني الشعر لمبانيه.

في حين أنّ "أبو هلال العسكري" فقد تطرق للصورة من خلال تعريفه للبلاغة إذ يقول: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[2]، ويوضح ذلك أكثر فيضيف:"إنّما جعلنا حُسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة، ومعرضه خلقا لم يُسَم بليغاً"[3]، ومعنى هذا أنّ الصورة شرط أساسي لنجاح الشكل الشعري لأنها تُجمل المعنى وتحسنه، و"أبو هلال" كسابقيه لم يقصد بلفظة الصورة المصطلح الفني المعروف، وإنما قياس للأشياء ذات المدلولات الذهنية على الأشياء ذات المدلولات الحسية.

أما "عبد القاهر الجرجاني" وعلى الرّغم من استفادته من جهود سابقيه – النقاد– إلاّ أنّه استطاع أن يؤسس لنظرية جديدة في الشعر (نظرية النّظم) متجاوزا بها النظرية التقليدية، حيث أنّه لم ينظر إلى الشعر على أنّه معنى أو مبنى يسبق أحدهما الآخر وإنّما نظر إليهما كجملة واحدة واعتبرهما وجهان لعملة واحدة، وطوّر بهذا مفهوم الصورة واقترب بها من المفهوم المعاصر إذ يقول: "واعلم أنّ قولنا الصورة إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس نكون من جهة الصورة، فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون في هذا ولا تكون في ذلك... وليست الصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره

---

[1]: ينظر: محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2005م، ص 126.

[2]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي، مصر، 1952م، ص 10.

[3]:أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 10.

منكر، بل هو مستعمل في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ، إنّما الشعر صناعة وضرب من التصوير"[1] .

نفهم من هذا القول أن لفظ التصوير لم يكن من ابتكار "الجرجاني" بل كان مستعملا قبله، والصورة حسبه هي الشّكل الذي تتخذه المعاني بعد أن يصوغها الأديب ، وينظّمها على شكل معيّن وهنا يظهر التمايز والتفاضل.

وترى " زكية خليفة مسعود " في دراستها الموسومة بـ "الصـورة الفنـية في شعر ابن المـــعتز" أن الصورة عند "عبد القاهر" نوعان:

- "نوع يتمثّل في الألفاظ من حيث هي أدلّة على معان مباشرة، أو لنقل ألفاظ ذات دلالات معجمية محدّدة.
- "نوع يتمثّل في الألفاظ من حيث هي أدلّة على معان، وهذه المعاني تدل على معان أخرى"[2].

هذا يعني أنّ "زكية خليفة مسعود" من خلال تقسيمها هذا وضحت أن الصورة نوعان، النوع الأول يندرج ضمنه الألفاظ التي تحمل معاني مباشرة أو دلالات معجمية محدّدة، والنوع الثاني تنطوي تحته الألفاظ الدالة على معان معينة، وهذه المعاني تدل على معاني أخرى.

هذه إشارة موجزة لأهم النقاد العرب القدامى الذين تطرّقوا إلى الصورة، والملاحظ أن أغلبهم اتّجه إلى البلاغة في تحديد اللفظ والمعنى كعنصرين أساسين مشكلين للصورة الشّعرية إضافة إلى المقومات الفنية الأخرى كالاستعارة، والمجاز، والتشبيه...

---

[1]: يُنظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1998م، ص 508.

[2]: زكية خليفة مسعود، الصورة الفنيّة في شعر ابن المعتز، ص19.

ب) عند النقاد المُحدثين:

مع أن الصورة الفنية مصطلح حديث إلا أن له جذور في تراثنا النقدي والبلاغي العربي القديم، ويتجلى ذلك من خلال القضايا التي يطرحها ويعالجها – هذا المصطلح – ما جعل نقادنا المحدثين ينقسمون إلى ثلاثة اتجاهات في طرحهم لمفهوم الصورة، فجاءت تعريفاتهم مختلفة باختلاف مذاهبهم ، ويمكن حصر هذه الاتجاهات فيما يأتي:

❖ <u>الاتجاه الأوّل</u>: "بالغ في الغرابة ونفى عن التراث معرفته بالصورة"[1]، حيث تبنى طروحات النقاد الغربيين ونفى عن الغرب معرفتهم للصورة وهذا ما اعتنقه "علي البطل" إذ يقول: "لقد سقطت كلمة الصورة – بمعناها الفلسفي – إلى العرب مع الفلسفة اليونانية وبالذات الفلسفة الأرسطية حيث دعم الفصل بين الصورة والهيولي في هذه الفلسفة فكرة المعتزلة القائلة بالفصل بين اللفظ والمعنى في تفسير القرآن، وسرعان ما انتقل هذا الفصل بين اللفظ والمعنى إلى ميدان دراسة الشعر"[2].

ويندرج ضمن هذا الاتجاه آراء كثير من النقاد أمثال "علي البطل" في دراسته الموسومة (بالصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها)، "نصرت عبد الرحمن" في كتابه (الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث)، "ونعيم اليافي" في كتابه (مقدمة لدراسة الصورة الفنية، وتطور دراسة الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث)، "ومصطفى ناصف" في كتابه(الصورة الأدبية) حيث تأثر بالفكر الغربي واعتبر أن "مصطلح الاستعارة أهدى من مصطلح الصورة وأن كلمة الصورة تستعمل عادة للدلالة على ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات، ذلك أن لفظ الاستعارة إذا

---

[1]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص96.

[2]: علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1981م، ص14و15.

حسن إدراكه، قد يكون أهدى من لفظ الصورة وأن الصورة لن تستقل بحال عن الإدراك الاستعاري"[1] .

❖ الاتجاه الثاني: "على قلته تشبّث بالقديم"[2]، فقد أعلى من شأنه ولم يأخذ إلا بما أفرزه النقد العربي القديم من تصورات وأفكار تمثل في جوهرها هذا المصطلح أو المفهوم، ويمثل هذا الاتجاه "كمال حسن البصير" في كتابه (بناء الصورة الفنية في البيان العربي)"[3].

❖ الاتجاه الثالث: "توسط أصحابه فأبانوا فضل القدماء واستفادوا من المناهج الحديثة"[4]، هذا الاتجاه كان معتدلا في طرحه فأقر فضل القديم وبيّن ميزة الجديد الملائم وأوضحه، ومن هؤلاء "علي إبراهيم أبو زيد" في (الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي)، و"عبد الله صالح نافع" في (الصورة الشعرية في شعر بشار بن برد)، و"بشرى موسى صالح" في (الصورة الشعرية في النقد العربي القديم)، وكذلك "جابر عصفور" في كتابه (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب) فهو يرى أن: "الصورة مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي، والاجتهاد في ترجمتها، لذا قد لا نجد المصطلح – بهذه الصياغة الحديثة – في التراث النقدي العربي، لكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول"[5].

فالملاحظ أن مصطلح الصورة الشعرية لم يرد عند نقادنا القدماء لكن القضايا والمشكلات التي

---

[1]: عبد الحميد قاوي، الصورة الشعرية قديما وحديثا، مجلة ديوان العرب، 29 أغسطس 2008م، ص4.

[2]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص97.

[3]: المرجع نفسه، ص97.

[4]: المرجع نفسه، ص97.

[5]: يُنظر: جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص07.

تندرج ضمنه، كانت موجودة وقد عالجها البلاغيون تحت مسميات أخرى، ومنه فالمصطلح أوروبي الوضع عربي الأصل.

مما ذكرناه سابقا نستنتج أن النقاد المحدثين في طرحهم للصورة ساروا وفق ثلاثة اتجاهات مما أنتج تعريفات عديدة ومختلفة للصورة الشعرية تختلف باختلاف توجهاتهم، وفيما يلي عرض لأهمها:

يرى "العقاد" أنّ "الصورة الأدبية عند الشاعر تتجلى في قدرتها البالغة على نقل الأشكال الموجودة، كما تقع في الحس والشعور والخيال، أو هي قدرته على التصوير المطبوع لأن هذا في الحقيقة هو فنّ التصوير يُتاح لأنبغ نوابغ المُصورين"[1]، ومعناه أن الصورة الأدبية لدى الشاعر تتمثل في قدرته على تصوير الأشكال كما هي في الواقع أو الحقيقة، فهي تصوير لما في الحس والشعور والخيال.

وعرّفها "أحمد الشايب" بأنها "المادة التي تتركب من اللغة بدلالتها اللغوية والموسيقية، ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل"[2]، يعني أن الصورة هي تركيبة لغوية تتكون من دلالات لغوية وموسيقية، وخيالية التي تتضمن التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل والتفسير.

أمّا "عبد المنعم خفاجي" فيرى أنّ "الصورة الأدبية هي التعبير بأسلوب جميل عن عاطفة الأديب سواء كان عنصر الفكر هو العنصر البارز أو عنصر العاطفة هو الأوضح، والصورة هي الشكل في النص الأدبي وتُقابل المضمون الذي هو الفكرة، وتشمل العبارة أي الأسلوب والخيال الذي يُلون

---

[1]: العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، 1984م، ص207. نقلا عن: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص99.

[2]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر على الجارم، ص 98.

العاطفة ويُصورها"[1]، فهو بهذا يعتبر الصورة الأدبية تعبير عن مشاعر الأديب التي تختلج في نفسه، وهذه الأخيرة تستعمل الأسلوب والخيال كوسيلتين أساسيتين في تصوير العاطفة وتشكيلها في عبارات مُحكمة.

في حين يرى "عبد القادر القط" أنها: "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظُمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة، وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والمجانسة وغيرها من وسائل التعبير الفني والألفاظ والعبارات هما مادة الشعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صُوَرَه الشعرية"[2].

نلاحظ أن هذا التعريف شامل لأنه اعتبر الصورة الشعرية الشكل الفني الذي يجمع بين الألفاظ والعبارات – باعتبارهما الركيزة والمصدر الأساسي للشعر– ووسائل التعبير الفني من تضاد وترادف ومقابلة وإيقاع ومجاز وغيرها من الوسائل ليُعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية.

ويعرض "محمد غنيمي هلال" مفهوم الصورة الشعرية من خلال النتائج التي توصّل إليها بعد دراسته لمختلف المذاهب الأدبية التي تطرّقت إلى هذا الموضوع، ويمكن تلخيص ما أورد فيها فيما يلي:

- ✓ "الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة. في معناها الجزئي والكلي، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صور جزئية تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي، فالصورة جزء من التجربة، ويجب أن نتآزر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلا صادقا فنيا وواقعيا.

---

[1]: علي صبح، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، ص 135.

[2]: عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، مصر، 1988م، ص 391.

✓ على الرغم من أن صور الشعر وظيفتها التمثيل الحسي للتجربة الشعرية الكلية، ولما تشتمل عليه من مختلف الإحساسات والعواطف والأفكار الجزئية، فإنّه لا يصلح مجال الوقوف عند التشابه الحسي بين الأشياء من مرئيات أو مسموعات أو غيرهما دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر في نقل تجربته، وكلما كانت الصورة أكثر ارتباطا بذلك الشعور كانت أقوى صدقا وأعلى فنا.

✓ الصورة لابد أن تكون عضوية في التجربة الشعرية، ويقضي ذلك أن تؤدي كل صورة وظيفتها في داخل التجربة الشعرية التي هي الصورة الكلية.

✓ نتيجة لعضوية الصورة يجب أن تضطرب الصورة الشعرية، ويكون ذلك بتنافر أجزائها، أو تنافيها مع الفكرة العامة، أو الشعور السائد في التجربة نفسها.

✓ الصورة التعبيرية الإيحائية أقوى فنيا من الصورة الوصفية المباشرة إذ أنّ للإيحاء فضل لا ينكر على التّصريح، فالوصف المباشر يضعف الدّلالة. وهو دون الصورة الإيحائية التي تتراءى لنا خلف الحالة النفسية للشاعر وضمن الشعرية نفسها.

✓ الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب"[1].

أمّا "عز الدين إسماعيل" فيرى أنّ "الصورة الفنية تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"[2]، بمعنى أن الصورة الشعرية تقوم على الوجدان وترتبط

---

[1]: يُنظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص417-432.

[2]: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، مصر، ط3، 1978م، ص171.

به أكثر من ارتباطها بالعالم الواقعي، فهو يعتمد على الوجدان والشعور في تعريفه للصورة ويراها مستنبطة من الشعور لا الواقع.

ويرى كذلك أنّ الصورة الشعرية في العصر الحديث فلسفة جمالية مختلفة ، إذ يقول: "إنّ الصورة حديثا تتخذ أداة تعبيرية ولا يلتفت إليها في ذاتها، فالقارئ لا يقف عند مجرّد معناها، بل إنّ هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما سمى "معنى المعنى بعبارة أخرى أصبح الشاعر يعبر بالصورة الكاملة عن المعنى كما كان يعبّر باللفظة، وكما كانت اللفظة أداة تعبيرية فقد أصبحت الصورة ذاتها هي الأداة"[1]، فالصورة هنا تجاوزت مفهومها التقليدي وأصبحت تعبر عن معنى المعنى أي أنها أصبحت حاملة لأكثر من معنى واحد وبهذا أضحت هي الأداة.

في حين يرى "جابر عصفور" أن الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تُحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإنّ الصورة لن تُغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنّها لا تُغير إلا كم طريقة عرضه وكيفية تقديمه"[2] ، ويعنى هذا أنّ الصورة طريقة للتعبير والدلالة، وتكمن أهميتها في التأثير الذي تُحدثه في المعاني، لكن رغم هذا التأثير إلاّ أنها لا تُغيّر من طبيعة المعنى بل تُغير في طريقة العرض وكيفية التقديم.

ويرى كذلك أنّ "الصورة هي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته، ويتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام (...) فالشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليُعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يفهمها، ويُجسدها بدون الصورة"[3]، فالصورة، بالنسبة له، هي الأداة التي تساعد الشاعر على

---

[1]: يُنظر: عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه. دراسة ونقد، دار الفكر العربي، مصر، 2013م، ص82.

[2]: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص07.

[3]: المرجع نفسه، ص323.

استكشاف تجربته ليعطيها المعنى المراد لها، والشاعر الجيد يستعمل الصورة للدلالة على حالات لا يستطيع فهمها بدون صورة.

أمّا "علي البطل" فيرى أن الصورة " تشكيل لغوي يكونّه خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، ويقدمها الشاعر أحيانا كثيرة في صور حسية[1]، فهو يربط الصورة بالشكل، فهو يراها تشكيل لغوي يكونه خيال الشاعر نتيجة لمعطيات مختلفة، كما يرى أن معظم الصور يستمدها الفنان من الحواس ويُقدمها على شكل صور حسية.

وقد كان لـ" بشرى صالح موسى" هي الأخرى تعريف للصورة مفاده أنّ "الصورة في الأدب هي الصّوغ اللساني المخصوص، الذي بواسطته تُمثل المعاني تمثُلا جديدا ومبتكرا، بما يُحيلها إلى صور مرئية مُعبرة وذلك الصّوغ المُتميز والمتفرد، هو في حقيقة الأمر عدول عن صيغ إحالية عن القول إلى صيغ إيحائية تأخذ مدياتها التعبيرية في تضاعيف الخطاب الأدبي"[2]، في توضح أنّ الصورة هي تمثيل جديد ومبتكر للمعاني حيث يجعل منها صور مرئية بواسطة الإيحاء.

وتعرفها أيضا بأنها "التركيبة اللّغوية المحققة من امتزاج الشكل بالمضمون في سياق بياني خاص أو حقيقي موحٍ كاشف ومعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية"[3]، فالصورة الشعرية تنطلق من اللغة كمكوّن أساسي لها، وهذه الأخيرة باعتبارها تركيبة لغوية ناتجة عن تداخل الشكل بالمضمون تُعبر عن جزء من أجزاء التجربة الشعرية.

---

[1]: علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، ط2، 1981م، ص 30.

[2]: بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1994م، ص 03.

[3]: المرجع نفسه، ص 20.

من خلال ما سبق يمكننا القول أنّ الصورة الشعرية هي الجوهر الثابت في الشعر وهي وسيلة الشاعر أو الأديب للتجديد والخروج عن المألوف، فقد تتغير الاتجاهات والمذاهب المعرّفة لها لكنها تبقى دائما مركز اهتمام الشعراء والنقاد والمبدعين على حد سواء، وقد عرّفها النقاد القدماء كما عرّفها المحدثين، غير أنّ القدماء لم يصوغوا هذا المصطلح وإنّما استخلصوه من خلال القضايا التي عالجوها في مختلف العلوم الأخرى كالبلاغة...وغيرها.

4: خصائص الصورة الشعرية:

تعد الصورة العنصر الفني المهم والفعّال في العمل الأدبي، وهذه الصورة يجب أن تتميّز بالقوّة لتعبّر عن أحاسيس وعواطف ومشاعر الشاعر، وتنقل هذه الأحاسيس إلى المستقبل فيشارك القائل مشاعره وفرحه وحزنه وآلامه، وهذا ما يوضّحه "سيسل دي لويس" في قوله: "إنّ قوّة الصورة الشعرية تكمن في إثارة عواطفنا، واستجاباتنا للعاطفة الشعرية"[1].

والصورة لا تُدعى بالجيّدة إلاّ إذا توفّرت فيها الخصائص التي تمنحها النضج والكمال، "فالصورة الأدبية الجيّدة التي تستوفي شروط الكمال، وتتحقّق في كل جزيئة من جزيئاتها الخصائص التي تعين على نضجها وتمامها فلا تكون سطحيّة ولا مضطربة، وغيرها من الخصائص والشروط التي تعمل على إبرازها ساحرة أخاذة، وتأخذ بمجامع القلوب"[2].

و قد تطرق العديد من الأدباء والنقاد إلى هذه الخصائص مثل "علي صبح" في كتابه (الصورة الأدبية تأريخ ونقد) الذي بيّن فيه أربعة خصائص وهي على النحو التالي: التطابق بين الصورة والتجربة، الوحدة والانسجام التام، الشعور، والإيحاء، أمّا "إبراهيم أمين الزرزموني" في

---

[1]: سيسل دي لويس، الصورة الشعرية، ت: أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م، ص21.

[2]: علي صبح، الصورة الأدبية، ص168.

كتابه (الصورة الفنية في شعر علي الجارم) فيضيف خاصيتين هما: الحيوية والعمق. وفيما يلي تفصيل في هذه الخصائص:

❖ ***التطابق بين الصورة والتجربة:***

التطابق مع التجربة هو أهم خصائص الصورة الشعرية، 'فالتجربة الشعرية' هي ذلك الجانب النفسي الشعوري الذي يصوره الشاعر، أما 'الصورة' فهي الوسيلة الناقلة لتلك التجربة، "فالصورة الشعرية هي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته، ويتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام، فالشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليعبّر بها عن حالات، لا يمكن له أن يفهمها ويجسّدها بدون صورة، فالصورة تصبح وسيلة حتمية، لإدراك نوع متميّز من الحقائق، تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله، ويصبح نجاح الصورة أو فشلها في القصيدة مرتبطا بتآزرها الكامل مع غيرها من العناصر باعتبارها وصلا لخبرة جديدة، بالنسبة للشاعر الذي يدرك والقارئ الذي يتلقى"[1] .

والصورة هي خاصية مهمة وضرورية لدى الشاعر ويكمُن نجاحها في ارتباطها مع غيرها في النص الشعري، "فلابد أن تكون الصورة مطابقة تماما للتجربة التي مرّ بها الشاعر لإظهار فكرة أو حدث أو مشهد أو حالة نفسية أو غير ذلك"[2].

ويتبنى "إبراهيم الزرزموني" نفس الرأي الذي طرحه "علي صبح" فيقول: "كل صورة كلية أو عمل أدبي يحدث نتيجة تجربة خامرت نفس صاحبها وتفاعلت في جوانبها المختلفة بممتزج الطارئ إليها بالمخزون فيها حتى إذا ما اكتملت في نفسه تتلاقى الأشياء، وتتآلف النظائر لعلاقة بين أجزائها"[3]، وهذا يعني ضرورة تطابق تجربة الشاعر بالصورة التي استعملها فيها.

---

[1]: يُنظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص383.

[2]: علي صبح، الصورة الأدبية، ص168.

[3]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص222.

❖ ***الوحدة والانسجام التام:***

"وهذا العنصر مترتّب عمّا قبله، فإذا كانت الصورة متطابقة مع التجربة الشعرية يسهل تحقيق الوحدة، والانسجام، بينما تعتمد عليه الصورة من كلمة أو عبارة أو نظم وغيرها"[1]، فالصورة الجيّدة يجب"أن تكون مكتملة تامّة مستوفية الأجزاء في كل المصادر السابقة التي تعتمد عليها، لتظهر الصورة كوحدة تامة، وبنية حيّة مستوية، فلا تقبل معنى شاردا ولا خاطرة نافرة، بل انسجام تام بين الأفكار، وتلازم متّصل بين المشاعر ثمّ تجانس محكم بين هذا كلّه، وبين مصادر الصورة جميعا"[2].

هذا يعني أن خاصية الوحدة والانسجام مرتبطة ومُكملة للخاصية التي قبلها أي تطابق الصورة بالتجربة الشعرية، فلا يمكن أن تتحقق هذه الميزة أو الخاصية إلاّ إذا حدث تطابق بين الصورة والتجربة الشعرية، كما يُعد انسجام الأفكار والمشاعر والترابط بينهما وبين المصادر الأخرى للصورة شرط أساسي لتحقيق صورة شعرية جيّدة.

❖ ***الإيحاء:***

إن قوة الصورة الشعرية تتجلى في إيحاءها، وفي قدرتها على التعبير عن المعنى الذي يريده الشاعر بأساليب مختلفة، إذ أنّ "الصورة الأدبية لا تنص على المضمون دراجة، ولا تكشف عنه مباشرة بل يوحي بها من غير تصريح، ويشع عنها من غير مباشرة"[3]، ويذكر "عز الدين إسماعيل" أن "التصوير الشعري شكل من أشكال الإيحاء بل إنّه أهمّها في الممارسة الشعرية إطلاقا"[4].

---

[1]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص225.

[2]: يُنظر: علي صبح، الصورة الأدبية، ص169.

[3]: المرجع نفسه، ص171.

[4]: الوالي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990م، ص184.

و"لقد اشترط النقاد للصورة الجيدة أن تكون موحية ومعبرة فالصورة في رأي أحدهم: أيّة هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبّرة، وموحية في آن واحد"[1]، لكن الإيحاء "لا يعتمد على قدرة الشاعر وحده في الموائمة بين أدواته التعبيرية، وحالته النفسية فحسب، بل تشترك فعالية القارئ ودرجة استجابته في إيقاظ الحالة الشعورية"[2].

وهذا يعني أن الإيحاء لا يقتصر على قدرة الشاعر وحده على المزج والتلاحم بين حالاته الوجدانية وأدواته التعبيرية فقط، بل يعتمد كذلك على تفاعل المتلقي مع الشاعر أيضا، وللإيحاء أشكال ثلاثة فصّل فيها "الزرزموني" في كتابه (الصورة الفنية في شعر علي الجارم) وهي:

- إيحاء بكلمة تستدعي معاني متعدّدة.
- أصوات كلمة تستدعي معاني متعدّدة.
- إيحاء بقرائن جغرافية، أو ثقافية، أو انفعالية.

❖ ***الشعور:***

يرى "علي صبح" أن "الصورة الأدبية تعتمد غالبا على صورة محسوسة من الواقع، هي تمثيل حي للتجربة الشعرية في شكل العمل الفني، الذي يمتلئ بالأفكار والخواطر والمشاعر والأحاسيس والعواطف الحارة، فكل كلمة لا بد أن تنبض بمشاعره وأحاسيسه لأن التصوير كما يقول العقاد من عمل النفس المركبة من خيال وتصور وشعور فتتحوّل المشاهد المحسوسة إلى حركات نفسية، وتعد الكلمات المنظورة والمسموعة خزانة مكتظة بمشاعر الأديب"[3].

---

[1]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر على الجارم، ص229.

[2]: مصطفى السعدني، التصوير في شعر محمود حسن إسماعيل، منشأة المعارف، مصر، 1990م، ص110، نقلا عن: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر على الجارم، ص228.

[3]: يُنظر: علي صبح، الصورة الأدبية، ص171.

فيتضح أن الصورة الأدبية تقوم على صورة محسوسة مُستنبطة من الواقع المعيش وينبغي أن تحمل هذه الصورة أفكار ومشاعر وأحاسيس الشاعر، فالتصوير هو إنتاج نفسي يتكون من خيال وتصور وشعور، فالشعور هو الخزان الرئيسي الذي يستمد منه الشاعر صوره إذ لا يمكن للمبدع أن ينتج فنا بمنء عن الشعور.

كما أنّ الصورة الأدبية هي صورة وجدانية تعبر عن أحاسيس ومشاعر الشاعر وفي هذا يقول "شوقي ضيف": "التجربة الشعرية ليست مجموعة من المعاني المتناثرة يفرغها الشاعر في قوالب من الشعر كما يشاء وإنما هي كل وجداني متماسك، بدلالات أخرى تصوير حالة وجدانية بجميع عناصرها وشعبها، وهي حالة أحسها الشاعر بل عاشها معيشة عميقة حتى استبانت له تجميع دقائقها وتفاريعها"[1].

فهذا الأخير يؤكد أن التجربة الشعرية يجب أن تشمل على جانب الاهتمام بالعاطفة الوجدانية التي عاشها الشاعر وتغلغل في ثناياها، ويؤكد "علي صبح" أن للشعور أهمية كبيرة وعظيمة حيث يقول: "ينبغي أن يسري في كلّ جزء من الصورة شعور الشاعر في تدفق، وقوة، وحيوية، فكل كلمة لا بد أن تنبض بمشاعره وأحاسيسه"[2].

❖ ***الحيوية:***

"الصورة الجيّدة هي الصورة الحيوية، وحيوية الصورة تنبع من قدرة المبدع عن تحريكها وتسكينها، وقدرته على التقاط أجزائها، وصهرها في بوتقة المشاعر مع صياغة فكرته صياغة تليق بها، وحسن اختيار الألفاظ المعبّرة الموحية وتنوّع الأساليب من خبرته، وإنشائية، وكذلك حيوية

[1]: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر،ط9، ص145.
[2]: علي صبح، الصورة الأدبية، ص181.

الموسيقى، والإيقاع، والخيال الجيّد النابع من الصورة والعاطفة"[1]. ونفهم من هذا أن الصورة الجيدة هي تلك الصورة التي تتمتع بالحيوية، وهذه الأخيرة تصدُر من قدرة المُبدع في حسن استعمالها وتوظيفها، ومنه فالشاعر هو الذي يزيد من حيويتها وذلك ببث عاطفته وروحه وخياله ومشاعره فيها، فتصبح أكثر متعة وتأثيرا في نفس المتلقي.

كما أن "حيوية الصورة وقدرتها على الكشف والإثراء وتفجير بُعد تلو بُعد من الإيحاءات في الذات المتلقية ترتبطان بالاتساق والانسجام"[2]، هذا يعني أن الصورة نابعة من الاتساق والانسجام وهما عنصران أساسيان يزيدان الصورة حيوية، وفي هذا يقول "عز الدين إسماعيل": "فأبرز ما فيها (الحيوية)، وذلك راجع إلى أنّها تتكون تكونا عضويا، وليست مجرد حشد مرصود من العناصر الجامدة"[3]، فهو من خلال قوله يبين أن أبرز ما في الصورة حيويتها، وهذه الصورة تتكون من عناصر تحدد فاعليتها.

❖ ***العمق:***

"إذا كان الإيحاء بعدا عن المباشرة، فإن العمق بعدا عن السطحية، والتجربة الشعرية الناجحة هي التجربة المتصفة بالعمق، إلا أنّه قد يجد الشاعر نفسه أمام تجربة بسيطة لا تحتاج للعمق، فالشاعر يزاوج في صورته بين العمق، وبين التعبير الهادي تبعا لنوع التجربة، ولحالته النفسية، أي تبعا لما تتطلبه الصورة"[4]، فالتجربة الشعرية لا يجب أن تتم بالبساطة والوضوح بل يجب أن تتسم بالعمق، فالشاعر يوازي بين التعبير الهادئ وبين العمق حسب متطلبات الصورة.

---

[1]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص 237 – 239.

[2]: كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، لبنان، ط3، 1984م، ص22، نقلا عن: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص241.

[3]: عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، مصر، ط5، 1973م، ص143.

[4]: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنيّة في شعر علي الجارم، ص 235.

ويرى أحدهم أن "الصورة تكشف عن المعنى الأعمق للحياة، وتقود إلى بعث الحيز والجمال فيها بطريقة مخصّبة"[1]، فالصورة الشعرية من خلال خاصية العمق تتمكن من الغوص في مفاهيم الحياة ومتاهاتها، مما يُكسبها جمالية خاصة تظهر جليا في تمتع المتلقي بها.

فيما يرى "محمد علي هدية" أنّ عمق الصورة هو الذي يمنحها الأصالة الفنية وأنه بعد نفسي يجعل من التجربة تحمل مضمونا شعوريا يحقق لها الأصالة الفنية حيث يقول: " هو أول الأبعاد النفسية للتجربة، وهو يعني تخصيص التجربة، وجعلها تحمل مضمونا شعوريا يحقق لها الأصالة الفنية"[2].

نستنتج ممّا سبق أنّ الصورة الشعرية تتميز بخصائص عدة وضّحها العديد من الباحثين مثل: "إبراهيم أمين الزرزموني" و "علي صبح"، وهذان الأخيرين توصلا إلى خمسة خصائص هي: التطابق بين الصورة والتجربة، الوحدة والانسجام، الإيحاء، الشعور، العمق. فالصورة الشعرية لا تكتمل دلالتها الا اذا توفّرت هذه المميّزات وتضافرت فيما بينها.

---

[1]: عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري– دراسة في النظرية والتطبيق–، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط1، 1984م، ص 89، نقلا عن: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، ص 237.

[2]: محمد علي هدية، الصورة في شعر الدواوبين، مصر، ط1، 1994م، ص 242.

5: عناصر الصورة الشعرية:

لقد خلط الكثير من الباحثين بين منابع الصورة الشعرية وعناصرها(*)، وذلك راجع لغموضها في حد ذاتها، هذا ما دفع الناقد "علي صبح" إلى التمييز بينهما في كتابه (الصورة الأدبية تأريخ ونقد) فاعتبر أن للصورة الشعرية سبعة عناصر وهي (الحجم، الشكل، الموقع، اللون، الحركة، الطعم، الرائحة):

❖ ***الحجم:***

وهو "ما يتصل بانكماش الصورة أو تمددها، وقلته أو وفرتها وصغرها أو كبرها، وغير ذلك مما يحتاجه المعنى والمضمون من إطناب أو إيجاز أو مساواة"[1]، والمعنى من هذا أن حجم الصورة مهم فواجب أن تكون ملائمة للمعنى كي لا يقع الشاعر في الإطناب أو الإيجاز أو ما شابه ذلك، فالحجم ركيزة أساسية تنبني عليها الصورة الشعرية.

❖ ***الشكل:***

هو "ذلك الإطار الخارجي الذي يضم جزئيات الصورة بحيث تكون لها مساحة معينة وأبعاد محددة، لينطبق الشكل في الصورة على الشكل لمضمونها في الواقع والحس، وتأتي الدائرة على الدائرة ويضاهي المشبه به في الأبعاد والمساحة، فيلتقيان معًا في إطارين متساويين ومتجانسين"[2]،

(*) منابع الصورة: اللفظ الصحيح الذي يتناسب مع الغرض والعاطفة.
الخيال بألوانه الخلابة كالاستعارة، التشبيه، الكناية، التجسيم، التشخيص...
الموسيقى بأنواعها المختلفة من لفظ رشيق، الوزن، القافية، التراكيب...
النظم والتأليف سواء أقام على الحقيقة أو الخيال.
الصورة الجزئية التي تسهم مع أخواتها في تكوين الصورة الكلية من القصيدة العاطفة، الشعور.
ينظر: علي صبح، الصورة الأدبية، ص 165، 166.

[1]: المرجع نفسه، ص 166.

[2]: المرجع نفسه، ص 167.

معنى ذلك أن تأتي الصورة الشعرية بشكل أو هيكل يطابق بين جزئياتها والواقع والحس كي يستسيغه المتلقي ولا يبدو غريبا عنه.

❖ ***الموقع:***

"ويكون في الصورة المعنى المجرد، أو الواقع المحسوس، أو الحالة النفسية أو النموذج البشري، كل له موقع من الصورة، تتشكل هي حسب هذه المواقع والمواقف المختلفة"[1]، بمعنى أن الشاعر في تشكيله للصورة يجب أن يراعى الموقع والمواقف المختلفة، فكما قيل لكل مقام مقال نقول هنا أن لكل صورة موقع.

❖ ***اللّون:***

"الألوان لا حصر لها، والأصباغ لا حدّ فيها، كالأبيض والأسود، والأحمر والأخضر وغيرها، فمنها المرّكز والخفيف وما بين هذا وذاك مما لا حد له في الأفق، ولا عدّ له في الطبيعة، وبالألوان في الصورة تكون الحياة والواقع"[2]، فالصورة الشعرية تحمل ألوان مختلفة هذه الألوان توحي بمعاني ورموز عديدة، منها المركزة والخفيفة ولكل منها دور في الصورة الشعرية، فاللون القاتم مثلا قد يدل على الحزن أو الظلام ومن خلاله يرسم الشاعر صورته المعبرة عمّا يختلج نفسه ويريد إيصاله للقارئ أو المتلقي.

❖ ***الحركة:***

الحركة هي عنصر مهم من عناصر الصورة الشعرية "سواء انبعثت من أنغام الصورة أو دلالات الألفاظ والتراكيب"[3]، فوجود الحركة في الصورة سواء كانت أنغاما من خلال إيحاءات صوتية

---

[1]: علي صبح، الصورة الأدبية، ص 167.

[2]: المرجع نفسه، ص 167.

[3]: المرجع نفسه، ص 167.

ناتجة عن إيقاع الحروف أو الألفاظ أو التراكيب، تحمل دلالات توحي بحركتيها –الصورة–، "وتمنحها حيوية إذ أن الحركة على اختلاف درجاتها سواء كانت بطيئة أو سريعة عنصر مهم من عناصر الصورة"[1].

❖ ***الطعم:***

"وإن كان نادرًا في باب التصوير، فإن كانت لقطة الشاعر من المطعومات أو ما يتصل بها كان لزامًا على الشاعر أن يرعى هذا العنصر، ليكون أوفر للصورة، وأكبر عونًا على تذوق طعمها"[2]، فالشاعر يستخدم الطعم أو ما يسمى بالذوق في صوره ليُوصل المعنى إلى المتلقي بشكل أحسن وأكمل فهو بالتالي عنصر مساعد ومهم.

❖ ***الرائحة:***

"وهي كالطعم في الندرة، لكنها تعبق جو الصورة بأطيب رائحة وأذكى نفحة، بهذا وذاك يتحقق الكمال فيها، وتبيح بأسرار الحياة سرًّا بعد الآخر، كالكائن الحي في تعاطف وإخاء"[3]، فالرائحة عنصر هام في الصورة الشعرية فهي تساهم في إضفاء جمالية خاصة عليها من خلال إضفاء جو مميز وجميل على الصورة.

نخلص في الأخير أن للصورة الشعرية سبعة عناصر تتكاثف وتجتمع لتجعل للشعر رونقاً وسحرًا خاص، يوصل المعنى للمتلقي بطريقة محكمة مما يؤثر فيه، وهذه العناصر منها ما هو أساسي كالحجم والموقع، ومنها ما يعد ثانوي مثل الطعم والرائحة.

---

[1]: يُنظر: إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر على الجارم، ص208.

[2]: علي صبح، الصورة الأدبية، ص167.

[3]: المرجع نفسه، ص 167.

6: أهمية الصورة الشعرية:

تحتل الصورة الشعرية مكانة بارزة في الشعر والنقد على حد سواء، فهي جزء لا يتجزأ من التجربة الشعرية كما قال "جابر عصفور": "هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته فتتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها، ولكن الاهتمام بها يظل قائما مادام هناك شعراء يبدعون، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه"[1].

يوضح "سيسل دي لويس" أهمية الصورة في قوله: "إنّ كلمة الصّورة قد تم استخدامها خلال خمسون سنة الماضية أو نحو ذلك كقوة غامضة كما سلف الذكر، ومع ذلك فإن الصورة ثابتة في كل القصائد فالاتجاهات تأتي وتذهب والأسلوب تغير، كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهري يتغير بدون إدراك ولكن المجاز باق، كمبدأ للحياة في القصيدة وكمقياس رئيس لمجد الشاعر"[2]، ومعنى هذا أنّ كل قصيدة هي في حد ذاتها صورة ورغم التغيرات التي تطرأ على الشعر سواء في الأوزان أو المواضيع إلاّ أنها –الصورة– تبقى دائما موجودة وهنا تكمن أهميتها.

كما أن قوة الصورة جماليتها تعد معياراً للحكم على جودة الشاعر حيث يقول "السيد هربرت ريد": "يجب علينا أن نتهيأ دائما للحكم على الشاعر بقوة المجاز في شعره وأصالتها، ويقول أرسطو: إن الشيء العظيم هو إلى حد بعيد قابلية التحكم في المجاز، وهذا وحده لا يمكن إبانته من جانب شخص آخر فهو علامة النبوغ"[3].

وتكمن أهمية الصورة أيضا في الطريقة المميزة التي تعرض بها المعنى، حيث تشد انتباه المتلقي وتأثر فيه بطريقة تفاجئه، وتجعله يتفاعل معها فهي "تحتوي المعنى وتعرضه بواسطة سلسلة من

---

[1]: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 07، 08.

[2]: يُنظر: سيسل دي لويس، الصورة الشعرية ، ص20.

[3]: يُنظر: المرجع نفسه، ص20.

الإشارات إلى عناصر أخرى متميزة عن ذلك بطريقة تبطئ إيقاع التقائه به، وتنحرف به إلى إشارات فرعية غير مباشرة، لا يمكن الوصول إلى المعنى دونها.

وهكذا ينتقل المتلقي من ظاهر المجاز إلى حقيقته، ومن ظاهر الاستعارة إلى أصلها ومن المشبه به إلى المشبه، ومن المضمون الحسي المباشر للكناية إلى معناها الأصلي المجرد، ويتم ذلك كله خلال نوع من الاستدلال ينشط معه ذهن المتلقي، ويشعر إزاءه بنوع من الفضول يدفعه إلى تأمل علاقات المشابهة أو التناسب التي تقوم عليها الصورة حيث يصل إلى معناها الأصلي السابق في الوجود عليها"[1].

وقد تحدّث "الآمدي والرماني وابن جني والحاتمي والعسكري ابن فارس عن المجاز وفائدته وأجمعوا على أنه يفيد مالا تفيده الحقيقة، ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى منه"[2]، والمقصود بالمجاز هنا الصورة.

ما نخلص إليه هو أنّ للصورة الشعرية أهمية بالغة تنبع من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي، فتجعله يشارك في بناء المعنى وتأمله دون وعي منه، وبهذا ينشط ذهنه مما يحقق له متعة وجمالية خاصة.

---

[1]: يُنظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص328.

[2]: المرجع نفسه، ص323.

نستخلص ممّا سبق أنّ:

- الصورة في اللغة تحمل دلالات عديدة ومختلفة أهمها: الشكل والهيئة...الخ، أما في الاصطلاح فقد اختلف الدارسون حولها باختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم الفكرية.
- تطور مصطلح الصورة عبر الزمان فقد عرفها النقاد العرب القدماء باسم التصوير في الشعر، أمثال (الجاحظ، ابن طباطبا، الجرجاني...)، في حين أن النقاد المحدثين كـ "غنيمي هلال، عز الدين إسماعيل، علي البطل وغيرهم" أطلقوا عليها عدة تسميات مثل (الصورة الفنية، والصورة الشعرية...).
- لقد كان النقاد القدماء أول من تطرق إلى مفهوم الصور من خلال دراساتهم البلاغية، أما النقاد المحدثون فقد أولو أهمية بالغة للصورة وكانوا السباقين إلى تحديد المصطلح.
- تتميز الصورة بخصائص عدة أهمها: التطابق بين الصورة والتجربة، الوحدة والانسجام، الإيحاء، الشعور، الحيوية، العمق.
- للصورة سبعة عناصر منها الرئيسة ومنها الثانوية، وهي كالآتي: الحجم، الشكل، الموقع، اللون، الحركة، الطعم، الرائحة.
- للصورة أهمية بارزة فهي الجوهر الأساسي والثابت في الشعر فعليها يبنى الإبداع ومنها يأخذ قيمته، كما تكمن أهميتها أيضا في الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي.

الفصل الثانـي

مصادر تشكيل الصورة الشعريـة عند

"أحمد سحنون"

توطئة:

من المعلوم أنّ الشاعر ابن بيئته وزمانه، فهو حتى وإن كان رافضا لها فإنّه يعبّر عنها بطريقة أو بأخرى، لأنّه يستمد منها لغته، وأفكاره، ومعانيه، وصوره الشعرية من حصيلة تجاربه فيها، فالشاعر لا يمكن أن ينطلق من فراغ، كما لا يمكن للصورة أن تنطلق من عدم.

فالصورة الشعرية لا يمكن أن تنشأ من لاشيء بل لابد من شيء يخلقها ويحرّكها، لذلك قال ابن طباطبا قديما "واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفته وأدركته عيانها، ومرت به تجاربها وهو أهل وبر: يصوّرون كل متولد من وقت نشوئه إلى حال انتهائه"[1]، كما أنها تكسب العمل الشعري صفته الفنية بفضل التكامل الحاصل بين مكوناتها، فهي "أسلوب يجعل الفكرة تبرز بكيفية أكثر حساسية وأكثر شاعرية، تمنح الشيء الموصوف أو المتكلم عنه، أشكالا وملامح مستعارة من أشياء أخرى تكوّن مع الشيء الموصوف علاقات التشابه والتقارب من أي وجه من الوجوه"[2].

فالصورة تعد بمثابة ريشة الشاعر وألوانه التي يرسم بها لوحاته الشعرية، فهي "استحضار مشهد من الطبيعة أو من حقيقة الإنسان، إنها إجمالا ربط الاهتزازة العاطفية التي يريد الفنان أن يولدها في محاولة لمنافسة الأشياء، وهي نداء إلى العام من أجل الإحساس بالخاص وإلى المعروف، من أجل أن تبرز في مفاتن الشيء المستكشف، العلاقة الجديدة بين الأشياء التي هي عبارة عن إبداع نفسي"[3]، إذن فالصورة الشعرية هي نتاج خبرات الشاعر المكتسبة من محيطه، وحصيلة تكاثف بيئة الشاعر وذهنيته التي تعكس ثقافته وخبراته ومزاجه ونفسيته.

---

[1]: محمد ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 16.

[2]: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م، ص 422.

[3]: المرجع نفسه، ص 422.

1: التراث الديني:

يعد الموروث الديني رافدا مهما من روافد تشكيل الصورة الشعرية، فهو المنهل الدائم والأقرب إلى وجدان الشاعر، كونه يجد الراحة النفسية بين أحضانه إضافة إلى قدرته على التأثير في ذهن المتلقي، فالشعراء الجزائريين كان لهم الاهتمام الأكبر بالتراث الديني وأولوه عناية بالغة، حيث أنهم استوفوا من معانيه ووظفوها في تشكيل صورهم، فقد كان الدواء الذي يشفي قلوبهم والحقنة التي تسكن آلامهم، والطبيب الذي يضمد جراحهم، فهو الحل للمشاكل التي يعايشونها في مجتمعاهم، والأداة التي تساعدهم على التطور والرقي والرفع من المستوى الأدبي والزاد اللغوي.

والواقع المرير الذي يعيشه الجزائريون يفرض عليهم التمسك بالدين لذلك اتخذ الشاعر من التراث الديني ملاذا يعبر به عن هذا الواقع وعن أحاسيسه "فيستوحي من التراث صورا تتناسب مع وضعه وواقع مجتمعه، حيث يميل التراث عنده انطلاقا من فضاءات واسعة تتيح له التعبير عن الرأي والانطلاق في أجواء لا قيود لها"[1].

فالتراث هو المادة الخام التي يستقي منها الشاعر صوره الشعرية دون الخضوع لأي قيود، فعند استغلاله لهذا المنهل الديني يكون قادرا على إيصال تجربته لامتلاكه "القدرة على الإيحاء والتأثير، وذلك لأن المعطيات الدينية تكتسب لونا خاصا من القداسة في نفوس الأمة ونوعا من اللّصوق بوجدانها لما للتراث من حضور حي ودائم في وجدان الأمة والشاعر حين يتوسل للوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون توسل إليه بأقوى الوسائل تأثيرا عليه"[2].

فالشاعر الجزائري يعتمد على التراث الإسلامي الزاخر ويعكسه في مواضيعه، ما يبرز نزعته

---

[1]: رحمة مهدي علي البريمي، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005م، ص 266،267.

[2]: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص 16.

الدينية ويبين أصالته، وهؤلاء الشعراء ومن بينهم "أحمد سحنون" وظفوا المرجعية الدينية في تشكيل صورهم الشعرية، وهذا الأخير كان له الفضل في استعمال عدة مصادر للصورة التراثية الدينية ومن أبرزها اقتباس لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، استدعاء الشخصيات الدينية، وتضمين القصص القرآنية.

1.1: اقتباس لغة القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم دستور الله الخالد للبشرية جمعاء، وهو صانع التراث ومصدره الأكبر ولعل السبب الذي جعل الشعراء ينهلون منه هو احتواؤه على كثير من القصص والحكم وأنه صالح لكل زمان ومكان "واللغة القرآنية مادة ثرية غزيرة ينهل منها الشعراء ويبنون بها تركيبات نصوصهم الشعرية. فيقتبس الشاعر معجما من القرآن الكريم ليس بنصه، وإنما بلفظه باعتباره المدد والمخزن في الذهن، والزاد الشافي للظامئ"[1].

فنجد أن أغلب الاقتباسات والمعاني التي جاء بها "أحمد سحنون" من القرآن الكريم كانت نتيجة لنشأته وتربيته في بيئة إسلامية محافظة، حيث أنه تلقى دروسه الدينية في الزاوية وحفظ بذلك القرآن والحديث، وهذا ما عكسه في أشعاره بتوظفه للقرآن الكريم والسنة النبوية والقصص القرآني ... "فالتعامل مع المفردات القرآنية في سياق شعري يرتبط بالحالة العاطفية كما أنها تدل على اطلاع واسع وثقافة مختلفة لخصوصيتها واغتناء دلالتها"[2]، كما كان "سحنون" واسع المعرفة والثقافة الدينية وهذا ما نلحظه من خلال ديوانه.

ففي قصيدة من قصائده يدعوا أبناء الجزائر إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه فهو الناصر لعباده من كل ظلم. حيث يقول:

---

[1]: رحمة مهدي علي البريمي، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، ص267.

[2]: المرجع نفسه، ص270.

واستعينوا الله ينصركم على *** كلّ باغ، إنّه نعم النّصيرْ![1]

صور الشاعر في هذا البيت صفة من صفات الله عز وجل مستعينا بألفاظ ورد ذكرها في القرآن الكريم، مجسدا بذلك نفس معنى قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ».

كما يصوّر في موضع آخر جزاء وأجر المؤمن التقي الذي يناله حب الله ورضاه، مستعيرا في ذلك بألفاظ وعبارات من القرآن الكريم، وفي عجز البيت الثاني يصرح باقتباسه من القرآن بتوظيفه لعبارة "ويرزقه من حيث لا يحتسب"، فكل من هذين البيتين يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم في عز وجل: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلَّ شَيءٍ قَدْرًا»[2]. وهذا ما جاء في قوله:

ويلق رضَى الله من جنده *** "ويرزقه من حيث لا يحتسبْ"[3]

ويدعو الله رحمة الفقير لأنه القادر على مواساته في محنه وآلامه، في قوله:

كن له خير راحم ونصير! *** أنت نعم المولى ونعم النّصيرْ[4]

فالملاحظ أن الشاعر نسج صورته وفقا لما جاء في صور القرآن الحكيم، في قوله تعالى: « وَإِنْ تُوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ»[5].

ويواصل تصويره للفقير الصابر على معاناته وشقائه في هذه الحياة، فليس له أحد يسأل عنه ويواسيه سوى ربّ العباد سبحانه وتعالى، وقد استعار عباراته من قوله تعالى على لسان 'يعقوب'

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، ص 112.

[2]: سورة الطلاق، الآية 2 و3.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون،ج1، ص 123.

[4]: المصدر نفسه، ص 142.

[5]: سورة الأنفال، الآية 40.

عليه السلام: «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[1]، تجسيدا لصبر الفقير وتحمّله كل ما يصيبه في هذه الدنيا إيمانا منه أن الله تعالى وحده القادر على نصرته وتغيير حاله، وقد ذكر قائلا:

لست أشكو بثّي وحزني إلّا *** لإلهي فإنّه بيَ أرحمْ![2]

وفي موضع آخر يناجي خالقه ويدعوه متضرعا، راجيا الفرج، وهذا لإيمانه بأنه لا ناصر إلا هو، فيقول:

يا كاشف الضرِّ فرّج *** عن أنفس محتارهْ

فَمَنْ سواكَ لعان *** يفكُّ عنْهُ حصارهْ[3]

فهو يبين أنّ الله تعالى هو العالم لما في الصدور والقادر على شفاء عبده من الآلام والأحزان، فليس للمؤمن سوى ربّه يواسي همّه ويفرّج كربه. مستعينا بما جاء في القرآن الكريم في قوله عز وجل: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيْبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُوُر الرَّحِيمُ»[4].

ويوضح في قصيدة أخرى الوضع الذي آل إليه المجتمع الإسلامي، حيث يقول:

وماذا استفدنا من تحرُّر أرضنَا *** سوى بيعنا الإسلام بالثَمن البخْسِ؟[5]

فقد صور الحالة التي وصل إليها المجتمع الإسلامي الذي رغم نيله للحرية، ونصر الله له، إلا أنه فرط في تعاليم دينه وهجرها، وخير دليل على خيانة هذه التعاليم ما جرى في قصة يوسف عليه

---

[1]: سورة يوسف، الآية 86.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 166.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون،ج2، منشورات الحبر، الجزائر، ط1، 2007م، ص 15.

[4]: سورة يونس، الآية 107.

[5]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 23.

السلام عندما غدر به إخوته حتى أصبح بضاعة تشترى، وهذه الصورة وردت في صور القرآن في قوله تعالى: «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ فَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ»[1].

ويناجي الله ويتضرع إليه راجيا منه دوام فضله ونعمه، في ضل شح الوفاء بين الأصحاب والمقربين، وأن يبعد عنه كيد الأعداء الناقمين، موضحا ذلك في قوله:

وقد مسّني ضرٌّ وفضلك واسعٌ *** وقد قلّ أنصاري وغاب حُماتِي

فلا تُخلني من فضلك الجمّ واكفني *** خيانة إخواني وكيد عُداتِي[2]

صور الشاعر في هذين البيتين الألم والحزن الذي لحقه مبرزا فضل الله ورحمته، مقتبسا هذه الصورة من صور القرآن في قوله عزّ وجل على لسان 'أيوب' عليه السلام: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ»[3].

ويصور أهوال يوم القيامة وما ينتظر العباد في ذلك اليوم الموعود، الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، ويجزي الله كل ساق بما سقى، وهذا ما يتضح في قوله:

ولا تنسُوا اليومَ الذي فيه نلتقي *** بأعْمالنَا يوم التّغابن والجمعِ

فذلك يوم لا يرى النَّاس مثله *** فكمْ فيه من خفض وكم فيه من رفْعِ

ففيه يُعزُّ اللهُ أنصار دينه *** ويكرمهم فيمنْ يودُّون بالشَّفعِ

وفيه سيلقى الظَّالمون جزاءهمْ *** من الخزي والضَّربِ المبرّحِ والصّفعِ[4]

فهذه الصورة تتوافق مع ما ذكره الله تعالى في قوله: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

---

[1]: سورة يوسف،الآية 20.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 26.

[3]: سورة الأنبياء، الآية 83

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 33.

ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئسَ المَصِيرُ»[1]، فالشاعر استعان في تصويره لهذه الصورة بما ذكر في القرآن الكريم وتعظيما لذلك اليوم الموعود.

ويؤكد أن الله هو مصدر العزيمة والقوة التي يتسلح بها المسلمون لنصرة دينهم والدفاع عنه وأن مجدهم سيضل خالدا ما داموا على ملة وخطى محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

قسماً بالله: بالفرْدِ الصَّمدْ *** وَاهبِ الوَالدِ منَّا والولَدْ

باعثِ القوَّة فينَا والجلَدْ ***بالذي يَسَّرَ تحريرَ البلدْ

سوفَ نبقى مسلمينَ للأبدْ *** لنْ يخونَ دينهُ منَّا أحدْ[2]

فالمتأمل لهذه الأبيات يلحظ أنّ "أحمد سحنون" استعان بألفاظ من القرآن الكريم لتصوير عظمة الله وقدرته عز وجل على عباده، ويتبين أن معنى البيت الأول مشابه لما ذكر في قوله عز وجل: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ »[3].

ويشير من ناحية أخرى إلى أن الأمة الإسلامية هي أفضل الأمم وأخيرها، لذلك عليها الدفاع عن مقومات دينها وسنة نبي الله المصطفى، والتضحية بالنفس والنفيس فداءً لها، وهذا ما ورد في قوله:

"كنتمْ خيرَ أمَّةٍ أخرجتْ للنَّاسِ" *** مُوتُوا منْ أَجْلهَا استشهادَا[4]

ففي الشطر الأول من البيت استعار الشاعر صورة من القرآن الكريم للدلالة على مكانة المسلمين ومنزلتهم عند الله تعالى، وهذه الصورة تتوافق مع ما ذكر في قوله عز وجل: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ

---

[1]: سورة التغابن، الآية 9 و 10.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 45.

[3]: سورة الإخلاص، الآية من 1 إلى 3.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 49.

خَيْرًا لَهُم مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الفَاسِقُونَ»[1]، واعتمد الشاعر نفس الآية تأكيدا وإثباتا لأفضلية وقداسة الأمة الإسلامية، إذ يقول:

فتعالوا نحققُ اليوْمَ مَعْنَى *** "كُنْتُمْ خَيرَ أمَّةٍ" فِي الأَنَامِ[2]

حيث يضمّن نفس الصورة من صور القرآن – 'كنتم خير أمة' – ليدعوا أبناء الأمة الإسلامية إلى النهوض من سباتهم، والعمل على تغيير حياتهم إلى الأحسن، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اقتداء بأفضل الخلق عليه الصلاة والسلام. وعدد صفات الله تعالى، داعيا الناس إلى الهداية والابتعاد عن طريق الضلال، فرغم زلات العباد يبقى الله عفوا غفورا، وهذا ما ذكره في قوله:

استقمْ واحترسْ منَ اليأْس فاللهُ *** رَءُوفٌ بالمذنبينَ رَحيمُ[3]

هذا تصوير لصفة من صفات الله تعالى ففي الشطر الأول يدعوا الشاعر إلى الاستقامة وإتباع الطريق السوي، وفي الشطر الثاني يبرز رحمة الله بعباده مستعيرا من القرآن الكريم في قوله عز وجل: «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ»[4]. وفي قصيدة أخرى عمد على تصوير الدنيا التي تغري الناس بأهوائها وملذاتها، فيصبح الشخص أسير ميوله وشهواته التي لا تزيده إلا بعدا عن ربه، فما هي إلا سجن ودار فناء، وقد تضمن ذلك قوله:

يا لِبؤْسِ الإنسانِ يخدعُ بِالدُّنيَا *** ومَا هيَ غير إفكٍ وَزُورْ

إنَّها مثلَ مَا حَكَى اللهُ في مُحكَمِ*** تنزيلهِ 'مَتَاع الغرورِ'[5]

---

[1]: سورة آل عمران، الآية 110.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 318.

[3]: المصدر نفسه، ص 55.

[4]: سورة الحديد، الآية 9.

[5]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 77.

فالشاعر هنا صور حالة الإنسان الغبي الذي غرته الدنيا وجعلت منه عبدا لآثامها، متبعا إياها بعبارة "متاع الغرور" للدلالة على زوالها وفنائها،وقد استعارها من قوله تعالى: «اِعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أُعْجِبَ الكُفَّارُ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ»[1].

ونجده في قصيدة أخرى موظفا نفس الاقتباس ونفس الصورة 'متاع غرور' من قوله عز وجل «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفُّونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ»[2] ليصور الألم والحزن الذي يعانيه من فقدان صديقه المقرب مذكرا نفسه أن الدنيا دار فناء وليس خلود، حيث أنه استقى عبارة متاع الغرور للدلالة على الدنيا الزائلة الفانية، وتجسد ذلك في قوله:

دَارُنَا هَذِهِ مَتَاعُ غُرُورِ!! *** لَيتَ أَنَّا مِنَ الغُرُورِ نُفيقُ[3]

ويبرز صفات الحاكم الظالم المستبد الذي غرته مكانته وأمواله، فطغى في الأرض فسادا، وسعى لاستعباد شعبه ونهب حقوقه، ضاربا شريعة الله عرض الحائط، وهذا ما يظهر في قوله:

فـاستحلَّ الــحرامَ وهُوَ إمامٌ *** وإذَا بالـــحــرام ليسَ حَرَامَا

وإذَا قَـامَ عَـــالـمٌ ونَـهــاهُ *** عنْ تعدِّي الحدود "يَلْقَ أَثَامَا

فيُضَاعَفْ لهُ العذابُ" ويُلقى *** في ثَرى سِجنِه يُعانى السِّقامَا[4]

وهي تجسيد لواقع الشعوب الإسلامية وما تلقاه من ظلم واستفزاز مستعينا بصور القرآن الكريم

---

[1]: سورة الحديد، الآية 20.

[2]: سورة آل عمران، الآية 185.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 233.

[4]: المصدر نفسه، ص 81.

ومستعيرا لعبارة 'يلقى آثاما فيضاعف له العذاب' كتوضيح للجزاء والعقاب الذي ينتظر الحكام الظالمين، وهذا ما يتضح في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا»[1].

ويصور عظمة ليلة السابع والعشرين من رمضان، مضمنا قوله تعالى: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر»[2]، تعظيما وتقديسا لهذا اليوم الجليل، وهذا ما يتضح في قوله:

ليلة القدر وما أدراك ما *** ليلة القدر التي جلّ سنَاهَا[3]

ويجسد في قصيدة أخرى المعجزات التي حدثت في هذه الليلة المباركة – ليلة القدر–، موظفا بذلك عديد الاقتباسات من القرآن الكريم مثل: 'اقرأ' التي انتقاها من قوله تعالى «اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَقَ»[4]، وعبارة 'الروح الأمين' من قوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِينٍ»[5]، وكذلك لفظة 'سلام' من قوله جل وعلا: «تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ»[6]، فهذه الاقتباسات والاستعارات استعملها الشاعر لإضافة نوع من الجمالية والرونق على صورته، وقد جسد كل هذا في قوله:

وأنْزَلَ فِيهَا وَحيَهُ لمُحمّدٍ وقَال *** لَهُ: "اقرأْ" وهيَ مكْرَمَةُ العُمْرِ

---

[1]: سورة الفرقان، الآية 68 و 69.

[2]: سورة القدر، الآية 1 و 2.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 217.

[4]: سورة العلق، الآية 1.

[5]: سورة الشعراء، الآية من 192 إلى 195.

[6]: سورة القدر، الآية 4 و 5.

وكَانَ بِهَا "الرُّوحُ الأَمِينُ" وجندُهُ *** نشيدُهُمْ فِيهَا: "سَلَامٌ" إِلَى الفَجْرِ[1]

وفي إشارة منه لعظمة مسجد الأرقم، يدعو المسلمين إلى اغتنامه والمثابرة في الصلاة والذكر والدعاء وخير الطاعات شكرا لله تعالى على تمام نعمه، فهو الذي كان أمنية تحققت بعد طول انتظار بفضل الصبر والكد وسواعد الإبداع والصمود، وجسد ذلك في قوله:

"فَإِذَا" مَا "فَرَغْتَ فَانْصَبْ" فَلَمْ *** تخْلَقْ سِوَى لِجلَائِلِ الأَعْمَالِ[2]

صور في هذه الأبيات الحالة التي يجب أن يتبعها المسلمون مستعيرا من صور القرآن الكريم في قوله جل وعلا: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ»[3]. ويبرز عظمة يوم عرفة ذلك اليوم الجليل الذي أتمّ الله فيه تعاليم الدين الإسلامي، ففيه تغفر الخطايا وتستجاب الدعوات، وتعتق الرقاب من النار، فيذكر قائلا:

"اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ" *** لَهُ شِعَارٌ وَصِفَهْ[4]

وذكر في قصيدة أخرى:

وأنزل قول الله: "أكملتُ دينكُم" *** فحقّ علينا "ما حيينا" له الشّكرُ[5]

فالشاعر يبني أبياته على لغة القرآن الكريم، ففي كلتا القصيدتين عمد على استعمال نفس المعنى الوارد في القرآن، ففي القصيدة الأولى قام بتوظيف الصورة القرآنية "اليوم أكملت لكم" تجسيدا وتعظيما ليوم عرفة، أمّا في القصيدة الموالية استعان بعبارة 'أكملت دينكم' كتجسيد لفضل الله تعالى على عباده، وهذا ما يظهر في قوله تعالى: «اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص297.

[2]: المصدر نفسه، ص 307.

[3]: سورة الشرح، الآية 7 و 8.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 324.

[5]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 231.

لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً»[1].

ويواصل تصويره ليوم عرفه، مصورا تهافت الحجاج، شبابهم وشيوخهم، من كل حدب وصوب لأداء مناسك الحج في البيت الحرام، تلبية لنداء الله قصد التقرب والتذلل له، وجسد ذلك في قوله:

فتَأمّلْ شَيْخَهَا يَسبقُ *** فِي الفَضلِ فَتَاهَا

أَقْبَلتْ مِنْ رِيفِهَا تَسْعَى *** وَهَبَّتْ مِنْ قُرَاهَا!

وَأَتَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍ *** شَوْقَهَا يَحْدُو خُطَاهَا[2]

صور الشاعر هذا اليوم الجليل مستعينا بصور من القرآن الكريم مثل تضمينه لعبارة 'وأتت من كل فج' كدليل على التوافد الكبير للحجاج إلى البقاع المقدسة، والمعنى متوافق مع ما ذكر في قوله تعالى: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلَّ فَجٍّ عَمِيقٍ»[3].

من خلال النماذج السابقة نلاحظ كثرة الاقتباس من لغة القرآن عند "أحمد سحنون"، إذ أن معظم قصائده لا تخلوا من أثر اللغة القرآنية، سواء كانت لفظا أو معنى، وهذا الزاد المعرفي والديني للشاعر ليس إلا دليلا على تشبثه بتعاليم الدين ورسوخ آيات الكتاب في ذهنه، فقد نشأ في بيئة دينية كما سبق وأن ذكرنا وهذا ما يرسخ قول "عبد الرحمن ابن خلدون" "الإنسان ابن بيئته"، فإبداعه يظهر في قدرته على إدراج آيات القرآن الكريم في سياق شعري بليغ المعاني ليوصل من خلاله ما يعيشه وما يختلج صدره، فهو قادر على "التعامل مع المفردات القرآنية في سياق شعري يرتبط بالحالة العاطفية، كما أنها تدل على إطلاع واسع وثقافة مختلفة لخصوبتها واغتناء دلالاتها"[4]

---

[1]: سورة المائدة، الآية 3.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 325.

[3]: سورة الحج، الآية 27.

[4]: رحمة مهدي علي البريمي، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، ص 270.

2.1: الاقتباس من الحديث النبوي الشريف:

نجد الشعر الجزائري المعاصر لا يخلو من توظيف للحديث النبوي الشريف، الذي يعد المنبع الثاني للمسلمين بعد القرآن الكريم، إذ تأثر شعراء هذه الفترة بما ورد من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث تضمنت قصائدهم الكثير من الأحاديث والمواقف الخالدة للنبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن أبرز هؤلاء "أحمد سحنون" الذين وجد ضالته في الحديث النبوي، كونه المنبع الثمين، والقدوة الحسنة التي كان ولا يزال لها الفضل في الإرشاد والنصح.

وقد تضمنت بعض قصائد الشاعر أحداث ورد ذكرها في الحديث النبوي، مثل قصيدة "إلى التلميذ" التي نضمها ناصحا فيها التلميذ بالتحلي بالخلق الحميد لنيل أعلى المراتب وأسماها، وهذا ما وضحه في قوله:

"خَالِقِ النَّاسَ بِخُلقٍ حَسَنٍ" *** فَجَمَالُ الخُلقِ عُنْوَانُ الرَّشَادِ!(1)

استعار الشاعر صدر البيت الأول من قول الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: "خالق النّاس بخلق حسن"(2)، فغرضه من توظيف هذه الصورة هو ترسيخ أخلاق ومبادئ الدين الإسلامي، مكسبا صورته رونقا وجمالا.

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن الذل والخيانة اللذان لحق بالإسلام، ناهيا أبناء الأمة عدم الرضوخ والانقياد كي لا نغش ديننا، في قوله:

"مَنْ غَشَّنَا لَيْسَ مِنَّا" *** وَنالَ بعدا وسحقًا!(3)

فنلاحظ أن صدر البيت الأول اقتبسه الشاعر من الحديث النبوي الشريف في قول رسول الله صلى

---

(1): أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 16.

(2): الحافظ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 121.

(3): أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 282.

الله عليه وسلم: 'من حمل علينا السلاح فليس منّا، ومن غشّنا فليس منّا'[1]، وقد وظف هذا الحديث ليدعم صورته ويثري شعره.

وفي إحدى القصائد يتحدث عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي وعمله الصالح الذي قربه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله من أهل بيته، حيث يقول:

أعظمُ شيءٍ بِهِ تُهْنَا *** قَولُ الرَّسول: "سلمان مِنَّا"

ويضيف قائلا: وصار من أهل بيت طه *** وقال طه: " سلمان منَّا"[2]

ففي عجز البيت الأول والأخير ضمن الشاعر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن سلماني الفارسي في قوله: "سلمان منا أهل البيت"[3]، وقد وظف هذه الصورة لتوضيح أن التقوى هي السبيل الأنجع والأمثل لنيل رضى الله ومحبة عباده. وضمّن حديث الصحابي الجليل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، عندما خاطب أصحابه: "أي اللذات أعظم؟، فكل أجاب بما يعرف، وكان في المجلس عمر ابن العاص ولم يكن أجاب عن السؤال، فقال له عمر: وأنت ما رأيك يا أبا عبد الله؟ فقال: الغمراتُ ثمَّ ينجلينَا" فهذا الحديث كان محور حديثه في هذه القصيدة إذ يقول:

قدْ قَالَهَا ابن العاص مُذ سِنينَا *** يجيبُ سيّدَ المحدّثينَا:

عُمَرَ عَن سؤاله مبينَا *** عنِ خير لذَّة لنَا تغرينَا

فيَا لَهَا منْ حكمة تجدينَا *** -إذَا وعينَاهَا- دنْيَا ودينَا

وذَا تراثنَا غَدَا قَمينَا *** بكلِّ إكبارٍ فِي العالمينَا

---

[1]: أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج1، دار الحديث، مصر، ط1، 1991م، ص 100.

[2]: المصدر نفسه، ص 298.

[3]: الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج3، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2002م، ص 691.

وَهُوَ الحضارةُ التي تغنينَا *** فلم يزل كَنزًا لنَا ثَمينَا[1]

فهو في هذه الأبيات ضمّن معنى الحديث وبين الحكمة منه داعيا المسلمين إلى المحافظة على التراث، حتى يبقى ذخرا للأجيال القادمة.

وفي موضع آخر عدد فضائل العلم واعتبره أساس الرفعة وعلو شأن المسلمين، ما تفانوا في طلبه، إذ أنه ليس محددا بزمان أو مكان وهذا ما أدرجه الشاعر في هذه الأبيات عندما قال:

إنَّمَا المُسْلِمُونَ كَانُوا بِمَا نَالُوا *** منَ العلْم والهُدَى أَسْيَادَا

وإذا ما اهتَدوا وعَادُوا إلى العِلْمِ *** فلا شك أن يسودوا العبادَا[2]

فهذه الصورة مأخوذة من صور الحديث النبوي في قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: "تفقهوا قبل أن تسودوا". قال أبو عبد الله: "وبعد أن تسودوا. وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم"[3]، والغرض من توظيف هذه الصورة هو توضيح أنّ العلم لا يقاس بالعمر أو السيادة بل على المرء التسلح به فهو مفتاح العلا والنجاح. كما شدد على ضرورة اقتداء الحاكم بتعاليم الدين الإسلامي، والعمل على تجسيدها على أرض الواقع حتى يكون حكمه رشيدا بعيدا عن الظلم والاستبداد ويظهر هذا في قوله:

مَا أَحْوجَ القرآنِ للسُّلطَان *** لَوْ آمَنَ السُّلطَانُ بالقُرآنِ

كيمَا يطبّقَ حُكمهُ بنفُوذه *** وبذَا تَكونُ سعادةُ الإنسانِ

فبغيرِ قُرآنٍ وَسُلطَانٍ مَعًا *** ينهَارُ مَا يَعلُو من البُنيانِ[4]

صوّر في هذه الأبيات وجوب إقتداء الحاكم بشريعة الرحمان، لأنها سبيل سعادة الإنسان، ولتدعيم

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 47.

[2]: المصدر نفسه، ص 49.

[3]: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ط1، 2002م، ص 30.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 99.

صورته استعان بما جاء في قول الصحابي الجليل عثمان ابن عفان رضي الله عنه "إن الله ليزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن".

من خلال النماذج التي قدمناها سابقا، والتي لها علاقة بالحديث النبوي الشريف سواء باللفظ أو المعنى، نستنتج أن الشاعر يستعمل هذه الأحاديث كونها تساعده بشكل كبير على بناء النص الشعري من كل النواحي، فهي تلعب دورا فعالا في إثراء قصائده، ومن خلاله تظهر قدرة الشاعر وموهبته في انتقاء ألفاظ معبرة ومناسبة للحدث أو الظاهرة المراد التحدث حولها.

3.1: استدعاء الشخصيات الدينية:

يسعى الشعراء الجزائريون إلى توظيف الشخصيات التراثية الدينية كإيحاءات وإيماءات ورموز يعبرون بها عن الأفكار والتجارب والأحاسيس والمشاعر التي تشغل فكرهم وعقولهم "فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خالصا"[1].

كما يضفي إدراج الشخصيات الدينية في العمل الشعري نوعا من العراقة والأصالة "ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاة، كما يمنع الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية، حيث يجعلها تتخطى خدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر"[2]، بالإضافة إلى القدرة على التعبير والإيحاء والتأثير في نفوس المتلقي، لما تحمله هذه الشخصيات –الأنبياء، الرسل–، والصحابة الكرام– من إجلال وتقدير.

"ففي توظيف الشخصيات استمداد من معطيات تلك الشخصية، واستحياء لما توحي به مواقفها الخالدة في ضمير الأمة، واستدعاء لرمزها بما يجسده ذلك الرمز من آفاق وأبعاد"[3]، فالأنبياء هم

---

[1]: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر –قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية–، ص 198.

[2]: علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط4، 2002م، ص 121.

[3]: رحمة مهدي علي البريمي، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، ص 277.

أكثر الشخصيات الدينية شيوعا وحضورا في القصيدة الجزائرية، وذلك لتشابه وظيفة أو تجربة الشاعر والنبي "فقد أحسن الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة وثيقة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ويعيش غريبا في قومه محاربا منهم أوفي أحسن الأحوال غير مفهوم منهم"[1].

ومن بين الذين أحسنوا توظيف الشخصيات الدينية في قصائدهم نجد الشاعر "أحمد سحنون"، الذي أدرج عدة رسل وأنبياء، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الشخصيات شيوعا في قصائده حيث أخذت دلالات كثيرة ومتنوعة في أشعاره إذ يذكر أحيانا اسمه أو صفة من صفاته أو حتى معجزة من معجزاته.

ففي إحدى قصائده يثني على النبي الكريم محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أزكى الصلاة والتسليم، رامزا إليه بالمنجي والمخلص والمنقذ من متاعب الدنيا ومفاتنها، وهذا بفضل المبادئ والأسس الدينية والأخلاقية التي جاء بها، والتي تعد وسيلة للنجاة من كروب الدنيا والآخرة، حيث ذكر في قوله:

لمْ يعدْ ينقذُه منْ دائهِ *** غيرَ مَا جَاءَ بِه طَهَ الأَمينْ[2]

ويعدد فضائل النبي صلى الله عليه وسلم على أمته فهو نورها وهاديها في الدنيا وشفيعها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وهذا ما ورد في قوله:

يَا رَسُولاً لِلإنسِ وَالجنّ يَا *** نُورًا مُبِينًا يَفرُّ مِنهُ الظَّلَامُ

يَا إمَامًا لِلرُّسْلِ يَا خَاتِمًا *** لِلوَحْيِ يَا مَنْ عَلَى الدَّوَامِ إِمَامُ

---

[1]: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 77.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 86.

يَا شَفِيعًا يَا رَحْمةً يَا سَلَامًا *** يَا مَنَارًا لِلعَدْلِ إنَّا نَضَامُ!

يَا هُدَى الحَائرينَ، إنَّا ضَلَلنَا *** وبنَا يهتدِي ويهْدي الأَنَامُ![1]

والملاحظ أن الشاعر لم يستعمل اسما من أسمائه عليه الصلاة والسلام في هذه الأبيات بل رمز إليه بصفاته الجليلة وفضائله النبيلة، حتى يكون قدوة لكل أبناء الأمة الإسلامية. ويعدد صفات النبي صلى الله عليه وسلم وملامحه السمحة التي زادته وقارا بكل محبة ولهفة، فهو نور الأمة وعيدها، وليس هناك من يضاهيه خلقا وخلقا وواضح ذلك في قوله:

من ذاك؟ من ذا تحدى كلّ ذي عظم *** في الكون؟ إن لم يكن محمّدا فمن؟

ذاك اليتيم حليف الحزن كيف دعا *** إلى الهدى ساخرا من كلّ ذي وثنِ

ذاك الفقير ربيب الفقر كيف بنى *** حضارة مثلما في الدّهر لم يكنِ!

ذاك الذي ما تلا حرفا ولا كتبت *** يمناه سطرا تحدّى كلّ ذي لسنِ

ووحّد العرب أهواء ومعتقدا! *** وكان بعضهم لبعض ذا إحنِ![2]

في هذه الصورة رمز الشاعر إلى خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام بمميزاته ومعجزاته، ليظهر قدرة الله عز وجل ورسوله. ويواصل تغنيه بصفات وأخلاق سيف قائد الأمة وهاديها، فهو الذي أبهر المسلمين وحتى المشركين بما يظهره وما يبطنه من حسن وجمال أخلاقي، وهذا ما برز في قوله:

يومُ ميلَادِ الهُدَى مِيلَادُ طَهَ *** فِيهِ نورُ الحقّ فِي الدُّنيَا تَنَاهَى

يومُ ميلَادِ النَّبِيّ المُصْطَفَى *** مَنَحَ الدُّنيَا التِي ضَلَّتْ هُدَاهَا

بَدَأتْ فِيهِ حَيَاةٌ فَذَّةٌ *** فِي العُلَا والمجد تَأبَى أَنْ تُضَاهَى

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 334، 335.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 237.

لَم يكُ الإنسَانُ في الدُّنيَا سِوَى *** سَائرٍ قَدْ ضَلَّ مَسراهُ وَتَاهَا

فَأتَى الرَّائدُ يهْديه إلَى*** منْ يَرَى فِي قربهِ عِزًّا وَجَاهَا[1]

بالإضافة إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وظف "أحمد سحنون" شخصيات عديدة نذكر من بينها:

توظيف الشاعر لشخصية 'موسى' و'عيسى' عليهما السلام، اللذان استعملهما الشاعر لإبراز سخطه على قومهما الذين عميَ على قلوبهم ولم يؤمنوا بما آتاهم الله على لسان رسله، عكس أمة 'محمد' صلى الله عليه وسلم التي آمنت بالله الواحد القهار واتبعت ما جاء به النبي المختار، فمن خلال هذه الصورة جسد الشاعر الاختلاف بين الديانات مفضلا بذلك الإسلام على غيره من الديانات السماوية، وهذا في قوله:

لم نُثّلثْ ولم نُجسّم ولم نُشرِكْ *** كمَا كَانَ قومُ عِيسَى ومُوسَى[2]

ووظف شخصية 'نوح' عليه السلام للدلالة على أن الخلود لله الواحد الأحد، فقدر ما أطال الله في عمر عبده، فلا محالة مآله الفناء، وهذا ما تضمّنه قوله:

وهلْ بلَغَ السَّبعينَ طَهَ نَبِيُّنَا *** لَوْ أنَّ الذِي يغنى سِوَى الخَيْرِ والبرّ

وَهَبنَا بلغْنَا عُمرَ نُوحٍ فَمَا لَنَا *** بقَاء، وَلوْ عِشْنَا إلَى آخِرِ الدَّهرِ!!![3]

وقد استعمل شخصية 'آدم' عليه السلام ليصور مرارة الوحدة وضرورة وجود زوجة تكون خير أنيس وسند لكل شخص في هذه الحياة، وتجسد ذلك في قوله:

وآدمُ لَوْ لَم يَجِدْ زَوْجَةً *** قَضَتْ عَلَيهِ الوِحْدَةُ القَاتلهْ[4]

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 336.

[2]: المصدر نفسه، ص 290.

[3]: المصدر نفسه، ص 252.

[4]: المصدر نفسه، ص 223.

كما أدرج شخصية 'إبراهيم' عليه السلام دلالة منه على قيمة وقداسة مقام إبراهيم، فهو أشرف مسجد على أشرف بقعة في المعمورة، كيف لا وهو قبلة الحجاج، سبيلهم لنيل الرضا والمغفرة، وهذا ما أورده في قوله:

بمقامِ إبرَاهيمَ كَانَ مَقَامِي *** وَالحِجْرُ وَالَبيْتُ الحَرَامِ أَمَامِي[1]

إضافة إلى ما سبق عمد "أحمد سحنون" إلى توظيف شخصية 'جبريل' عليه السلام "رمز للقوة التي تصل الإنسان بالسماء، حيث كان 'جبريل' عليه السلام هو مرشد الرسول صلى الله عليه وسلم ودليله ليلة أسري به"[2]، فهو الملك والروح الأمين الذي كان رسالة الله لعبده محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان حامل الوحي ومبلغه له ومعينه على أعدائه، وهذا ما تضمنته الأبيات الآتية:

هنا كلّ شبر منبع للسّنا هنا *** مواطيء جبريل هنا " البيت والحجرُ "[3]

وقال أيضا:

وليسَ ذَا بعَجِيبٍ *** فَالأرضُ لَيسَتْ سَوَاءْ

وِهُنَّ حَرثٌ بهذا *** جبريلُ بالوَحْي جَاءْ[4]

من خلال النماذج التي أوردناها نلاحظ الحضور اللافت لشخصية النبي 'محمد' صلى الله عليه وسلم، ليظهر حبه وتمسكه به عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، وقد استغل شخصيته حتى يرسخ خصاله في معاملاتنا، ويكون قدوة المسلمين، وبكل هذا التوظيف للشخصيات الدينية من طرف "أحمد سحنون" إبراز لحسه الديني وتوضيح لشدة تمسكه بالدين الإسلامي.

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 355.

[2]: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 96.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 231.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 267.

4.1: تضمين القصص القرآني:

إن الشعر الحديث يكاد لا يخلو من القصص، حيث نجد شعراء يوظفون في أشعارهم أحداثا ووقائع ورد ذكرها إما في القرآن أو الحديث، وقد ضمّن "أحمد سحنون" العديد من القصص في أشعاره، فمن جهة لأخذ العبرة والموعظة، ومن جهة أخرى لإنعاش شعره.

صور الشاعر في عديد المواضع يوم بدر، ذلك اليوم العظيم الذي نصر الله فيه المسلمين على قريش، إذ يقول:

يا غزوة جبريل من جندها *** يبثّ روح الخوف والذّعرِ

يسير في جيش عظيم من *** الأملاك أهل البرّ والطّهرِ!

قد امتطوا خيلا على أهبة *** لسحق أهل الزّيغ والكفرِ![1]

ويقول أيضا:

سبعون قتلى جندلوا في الثّرى *** حياتهم وموتهم خسرُ

ومثلهم أسرى يساقون في *** ذلّ ويغشى وجوههم قهرُ[2]

فقد انتقى أحداث هذه الغزوة من القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوَّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْر إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ، لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَو يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ»[3].

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 210.

[2]: المصدر نفسه، ص 211.

[3]: سورة آل عمران، الآية 123 إلى 127.

وعن تصويره لعدد الأسرى والقتلى في هذه الغزوة استعان بما ذُكر في الحديث النبوي الشريف أن: "النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومئة: سبعين أسيرا وسبعين قتيلا"[1]، وفي حديثه عن حضور 'جبريل' عليه السلام ومشاركته في هذا اليوم ورد في الحديث النبوي أيضا: "أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريل، آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب"[2]، فالشاعر اقتبس أحداث هذه الغزوة من القرآن والحديث تعظيما وتقديسا لهذا اليوم المبارك.

وضمّن أيضا حادثة نزول الوحي على النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ليلة القدر في غار حراء، عندما جاءه 'جبريل' عليه السلام وطلب منه القراءة، وبذلك أنزل الله تعالى أول آيات القرآن الحكيم على خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أزكى الصلاة والتسليم، وهذا ما ورد في قوله:

قد تلقّى الوحي فيها شرعة *** سمحة خير عباد الله طَهَ

ليلة القدر وما أدراك ما *** ليلة القدر التي جلّ سناهاَ

كلّها محض سلام وصفا *** وسنا نور جلا عنها دجاهَا

نزل القرآن فيها رحمة *** وشفاء، فازدهى الكون وتاهَا[3]

وذكر أيضا:

وأَنزلَ فِيهَا وَحيَهُ لمحمّد وقال *** لهُ: "اقرأْ" وهيَ مكْرَمَةُ العُمْرِ

وكَانَ بِهَا "الرُّوحُ الأَمِينُ" وَجُنْدُهُ *** نَشيدُهُمْ فيها "سَلَامٌ" إِلَى الفَجْرِ[4]

---

[1]: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص 978.

[2]: صالح أحمد الشامي، الجامع بين الصحيحين للإمامين: البخاري ومسلم، ج2، دار القلم، دمشق، ط2، 2011م، ص 280.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 217.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 297.

فالشاعر وصف هذه الحادثة مستعينا بالقرآن والحديث لتدعيم صورته، ففي القرآن الكريم ذكر تعالى في قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ، لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلَ المَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ»[1].

وذكر في الحديث النبوي أن 'عائشة' رضي الله عنها قالت عن 'الرسول' صلى الله عليه وسلم: "كان يخلو بغار حراء فيتحنث – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الملك فقال: اقرأ، قال: 'ما أنا بقارئ' قال: 'فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني' فقال: 'اقرأه قلت: ما أنا بقارئ؟ 'فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: 'اقرأ قلت: ما أنا بقارئ؟' فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿1﴾ خلق الإنسان من علق﴿2﴾ اقرأ وربك الأكرم﴿3﴾» فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: 'زمِّلوني زمِّلوني' فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرّوع"[2].

كما يتطرق لحادثة الإسراء والمعراج التي جاءت تعويضا وإيناسا للنبي صلى الله عليه وسلم الذي اشتدّ حزنه وكربه لما لاقاه من أهل الأرض من أذى واستهزاء، مضمّنا هذه الحادثة في عدة قصائد في قوله:

رَجَبٌ شَهرُ رِفعةٍ وَمَحَبَّهْ *** فِيهِ لَاقَى خَيرَ النَّبِيّينَ ربَّهْ

ثُمَّ نَاجَاهُ دُونَ أَيِّ حِجَابٍ *** أَيّ فَضْلٍ وَأَيّ زُلْفَى وَقُربَهْ

وَبِهِ شُرّعَ اللّقاءُ مَعَ الله *** بِفَرْضِ الصَّلَاةِ فِي خَيرِ صُحْبَهْ

فَهوَ ذِكْرَى تَكْرِيمِ كُلّ مُصلٍّ *** وَلِذَا صَارَ لِلْكَمَالَاتِ تُربَهْ

---

[1]: سورة القدر، الآية من 1 إلى 5.

[2]: ينظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص 8.

أَيُّ شَهرٍ قَدْ كَانَ مَسرَى *** وَمعْرَاجًا لطَهَ وُملتَقَى لِلأَحِبَّهْ

فِيهِ قَدْ أُنسيَ النَّبِيُّ أَسَاهُ *** وَشَفَاهُ اللِّقَاء مِنْ كُلِّ كُرْبَهْ

وَلِقَاءُ الرَّسُولِ بِاللهِ يُنْسِيهِ *** لِقَاءُ الأُلَى يُرِيدُونَ حَربَهْ[1]

وقال أيضا:

فِي العُرُوجِ التُّقَى مَعَ اللهِ وانجَابَ *** الحجَابُ عنِ الكَمَالِ الأَوْحَدِ

وَرَأَى ذَا الجَلَالِ فِي بهرة النُّورِ *** بِلَا صُورةٍ وَكَيْفَ محدَّدْ

وبإِسْرائه التُّقَى بِالنَّبِيّينَ الكِرامِ *** فِي خيرِ حَفلٍ ومَشْهَدْ

ثمَّ صَلَّى بهمْ إِمَامًا فَأَعظمْ *** بِصَلَاة تُقَامُ فِي خَيرِ مسْجدْ[2]

وقد أدرجت هذه الصورة في صور القرآن في قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ»[3].

كما ذكر في الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "عرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟. قال: نعم، معي محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: أُرسل إليه؟. قال نعم، فلما فتح عَلَونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أَسوِدَة وعلى يساره أَسوِدة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نَسَمُ بَنِيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى. حتى عَرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثلَ ما قال الأول، ففتح". ثم قال

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 314.

[2]: المصدر نفسه، ص 337.

[3]: سورة الإسراء، الآية 1.

صلى الله عليه وسلم: "ثم عُرج بي حتى ظهرْتُ لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام. ثم يقول: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعني فوضع شطرها. فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها. فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إليه قال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي. فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك. فقلت: استحيت من ربي. ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي. ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك"[1].

وصور قصة 'قابيل' ابن سيدنا 'آدم' عليه السلام، الذي قتل أخاه 'هابيل' "لمنعه من الزواج من أخته التوأم، فتمرد 'قابيل' عل هذه الشرائع لأن الفتاة التي ولدت معه كانت أجمل من التي ولدت مع 'هابيل'، ومن ثم أراد أن يحتجزها لنفسه، ولما احتكما إلى أبيهما طلب منهما أن يقدما قربانين والذي يقبل قربانه يتزوج الفتاة المتنازع عليها فقبل الله قربان 'هابيل'، فقتله 'قابيل' لمنعه من الزواج بأخته"[2]. فنضم الشاعر قصيدته قائلا:

وَلَا قَتل النَّفْس الحَرَامِ سِوَى بِهِ *** كَمَا مَاتَ قَابيلُ قَتِيلاً بدَائِهِ[3]

وقد وردت هذه القصة في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِيْنَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وِذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لِهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ

---

[1]: ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ص98، 99.

[2]: ينظر: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 98.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 133.

فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ»[1]، فالشاعر وظف هذه القصة ليجسد الجريمة التي ارتكبها ابن 'آدم' عليه السلام، والخطأ الذي وقع فيه.

وتضمّن شعره حادثة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة وتحويل دعوة الحق من بني إسحاق إلى بني إسماعيل، وذلك في قوله:

حُوِّلتْ قِبلةُ الصَّلَاةِ منَ "القُدسِ" *** إلَى "مكَّة" لمعنَى سَامٍ

هوَ تَحْوِيلُ دعْوة الحَقِّ منْ أَبْنَاءِ *** إسحَاقَ بَعْدَ طُولِ مَقَامِ

ليقومَ بِهَا بَنُو الأَخِ إسمَاعيلَ *** آبَاءُ يَعرب بدَوامٍ[2]

فقد تحولت القبلة عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم "فأمر بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر –وقيل سبعة عشر– شهرا، ثم حوّلت القبلة إلى الكعبة، وهي قبلة إبراهيم في شعبان سنة اثنتي في وقت صلاة العصر وقيل الظهر"[3]. وهذا ما ورد ذكره في قوله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ»[4]،

وورد في الحديث النبوي عن 'عبد الله ابن عمر' قال: "بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنزل عليه الليلة. وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة"[5]. أما تحويل الدعوة من أبناء 'إسحاق' إلى أبناء 'إسماعيل' مفادها أن "إبراهيم لما بنى الكعبة قال: 'ربّنا وابعث فيهم رسولا منهم' ولمّا

---

[1]: سورة المائدة، الآيات من 27 إلى 30.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 318.

[3]: ابن كثير، قصص الأنبياء ، تح: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1988، ص 483.

[4]: سورة البقرة، الآية 144.

[5]: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج1، ص 375.

انتهت النبوة في عهد إسرائيل إلى عيسى قام فيهم خطيبا فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم وأنها بعده في النبي العربي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق أحمد وهو محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب ابن هاشم الذي هو من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليه السلام"[1]. فالملاحظ أن الشاعر صور هذه الأحداث تجسيدا منه للتغييرات التي حدثت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وتدعيما لصورته.

وصور أيضا قصة هلاك عدو الله فرعون والعقاب الذي خصّه الله به، ليكون عبرة لكل كافر، فذكر في قوله:

وزعيمهُمْ فرعون لم يخجلْ بِمَا *** نَادَى به في غَابِرِ الأزْمَانِ

حينَ ادَّعى كذبًا وزُورًا أنَّه *** ربّ العباد ومالهُ منْ ثانِ

فطواهُ موجُ البحرِ ثمَّ رَمَى بهِ *** والبحرُ يلفَظُ جيفةَ الإنسانِ

يَا للغرورِ يكونُ ربًّا وهوَ *** يفنِيهِ الرَّدَى والرَّبُّ لَيسَ بفانِ[2]

ففرعون لعنه الله كان طاغيا في البلاد، لذا جزاه الله سوء عمله فعاقبه عقابا شديدا، ونسج الشاعر صورته على حسب ما جاء في كتاب الله الحكيم في قوله عز وجل: «اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى، وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى، فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى، فَكَذَّبَ وَعَصَى، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى، فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى، فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى»[3]،وقوله أيضا: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم البَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»[4]. وقوله

---

[1]: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 698.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 100.

[3]: سورة النازعات، الآية من 17 إلى 26.

[4]: سورة البقرة، الآية 50.

أيضا: «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيْقًا فِي البَحْرِ يَبِسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى»[1].

وذُكر أن الله تعالى "أمر موسى بالخروج بقومه، فخرج بهم ليلا، فتبعه فرعون وجنوده، فلما تراءى الجمعان وتقاربا، قال أصحاب موسى: إنا لمدركون، افعل ما أمرك به ربّك، فإنه لم يكذب ولم تكذب، قال : وعدني ربي إذا أتيت البحر، ينفرق اثنتي عشرة فرقة، حتى أجاوزه، ثم ضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى، فلما جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر، ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر، فلما جاوز موسى، قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه، فأخرجه له ببدنه، حتى استيقنوا بهلاكه"[2]، فالشاعر صور هذه القصة لتكون عبرة وموعظة لأبناء الأمة الإسلامية، منبها بذلك الطغاة وأعداء الإسلام على الجزاء الذي سينالهم من الله تعالى.

هذه بعض القصص القرآنية التي تم توظيفها في أشعار "أحمد سحنون" والتي استعملها كوسيلة لدعم شعره وإثرائه بأكبر قدر من صور القرآن التي جعلها الله كمغزى وعبرة لأمة الإسلام، فخلدها في كتابه العزيز لتستمر عبر العصور والأزمان، وهذا ما جذب شاعرنا وشجعه على توظيفها حسب حاجته الشعرية، فجعل بذلك شعره نافذة نطل من خلالها على مختلف الأزمنة والأحداث التي لا تزيدنا إلا ثقافة وحكمة وموعظة.

---

[1]: سورة طه، الآيات من 77 إلى 79.

[2]: ينظر: الحافظ ابن كثير، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، مكتبة الصحابة، الإمارات– السعودية، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 1998م، ص 360.

2: الطبيعة:

تُعرَّفُ الطبيعة في اللغّة بأنّها "السَّجية التي جُبل عليها الإنسان"[1]، أمّا في الاصطلاح فلها تعريفات عديدة فهي في اعتقاد الإنسان الديني "مجموع الأشياء والكائنات الموجودة والقوة الكائنة في الكون، فهي ترادف الكون بصفة عامة، والخليقة بالنسبة لمن يؤمن بإله خالق، أمّا في علم الجمال فتُعرّف بأنها كل ما يوجد في الكون خاضعا لنظامه، ومميزا عما يضيفه إليه الإنسان بالصنع أو الفن تتميز عن الإنسان نفسه، وباستطاعتها إثارة حساسيته وعاطفته الجمالية"[2].

ويُعرف شعر لطبيعة بأنّه "الشعر الذي يتناول بالتعبير قسمين رئيسيين: الطبيعة الصامتة وهي ما اشتملت عليه الطبيعة من الكائنات الحية المتحركة ذات الصوت سوى الإنسان، وذلك كأنواع الطيور والحيوانات المختلفة لأن ما من كائن حي منها إلا وله صوت مميز مهما تقاربت صوره وأنماطه ثم الطبيعة الصامتة ويقصدون بها ما اشتملت عليه الطبيعة من أنواع ثلاثة: الجمادات الطبيعة المختلفة، النباتات المختلفة، الظواهر الطبيعة المختلفة"[3].

كانت الطبيعة ولازالت ملاذا للشعراء ومهربا لهم من الواقع فهي "بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر هي المصدر الأساسي لإمداد الشعراء بمكونات الصورة، ولكنّه لا ينقلها إلينا في تكوينها وعلاقتها الموضوعية، إنه يدخل معها في جدل فيرى منها، أو تريه من نفسها جانبا يتوحد معه بإدراك حقيقة كونية وشخصية معا"[4]، فالشعراء مُرهفو الإحساس يستشعرون مظاهر الطبيعة فتسحرهم وتأسر نفوسهم بكل ما تشمله من موجودات وظواهر كونية، وهذه الموجودات تعد المصدر

---

[1]: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص 691 .

[2]: يُنظر: مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص 235.

[3]: آدم محمد أحمد الحاج الزاكي، محمد داود محمد داود، شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي بين الأصالة والتقليد، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد 15، 2014م.

[4]: محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، ص 33.

الأساسي في تزويد الشاعر وإمداده بمكونات الصورة، فالشاعر لا ينشئ صوره من فراغ، إنما يستمدها من مكنونات الطبيعة (الحية والجامدة)، "فهي الملهم الأول لكل كاتب وكل شاعر، وهي الباعث الأكبر على إبداع كل فن من الفنون، كذلك كان شأن الشعر وسائر الفنون في تراث الإنسانية"[1].

و"أحمد سحنون" جعل من المظاهر الطبيعية للجزائر مصدرا لصوره الشعرية، معبرا من خلالها عن أحاسيسه ومشاعره، "فيتأملها، ويبثها آلامه، وينسى عندها أشجانه، ويهيم بها ويحبّها، ويفتن بآليات الجمال فيها، ثم يصورها كما تمثلتها نفسه"[2].

وقد ظهرت الطبيعة في شعره بوجهين مختلفين الأوّل "وصف الطبيعة من حيث موقف وهدف يقف عنده الشاعر، ليرى قدرة الله في خلقه، أو هياما وحبا في الطبيعة، فالطبيعة هنا وسيلة وغاية في آن واحد، وما يُميز هذا الوجه أن الشاعر لم يصف غير طبيعة الجزائر، حيث أفرد لها قصائد خاصة تقف على مكنوناتها من خلال عناوينها.

أما الوجه الثاني فهو استعمال الطبيعة وسيلة لبلوغ غاية تتعلق أساسا بالثورة الجزائرية، والشاعر في هذا الوجه يستعمل الطبيعة رمزا على طريقة الرومانسيين ولعل تفسير ذلك يعود بالأساس إلى تحاشي الدخول في المواجهة المباشرة مع الاستعمار خصوصا إذا تعلق الأمر بالجهاد والدعوة إلى الثورة والمطالبة بالاستقلال"[3].

لقد كان للطبيعة بنوعيها الحية والجامدة أثرا كبيرا في تشكيل الصور الشعرية في شعر "أحمد سحنون".

---

[1]: عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق، بيروت،1975م، ص 213.

[2]: سعد اسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، ط2، ص 213.

[3]: محمد بوقفحة، شعر الثورة عند أحمد سحنون، مذكرة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة وهران 2008/2007م، ص 84.

1.2: الطبيعة الحية:

وهي عناصر "الطبيعة المشتملة على الحيوانات والطيور والحشرات بمختلف أشكالها وأصنافها، وأدخل بعضهم النباتات أيضا بجميع أشكالها وأنواعها وصفاتها ضمن الطبيعة الحية، أي جعلها تدلُ على جميع الكائنات الحية "[1].

إذن فالطبيعة الحية وتسمى أيضا بالطبيعة المتحركة أو الناطقة، تشمل "جميع الأحياء بدءا بالإنسان، فالحيوان والنبات، فهي مصدر الحياة والحركة في الكون"[2]، يوظفها الشاعر حسب متطلباته وحالته النفسية فتأتي سعيدة لسعادته وحزينة لحزنه، ولها دور بارز في تشكيل الصور الشعرية"لأحمد سحنون".

❖ صورة الإنسان:

يُعد الإنسان أهم موضوع شعري على مر الزمان إذ إنه" ابن البيئة الحية التي عبّر عنه الشعراء في موضوعاتهم الشعرية فهو محط أنظار الشعراء منذ القدم إلى الآن، ولا يكاد يخلو الشعر من ذكر الإنسان بصوره المختلفة كونه بطلا،عاشقا، ضحية، مناضلا، أبا، صديقا..."[3]، وترد صورة الإنسان في شعر" أحمد سحنون" بأشكال مختلفة، نذكر منها ما ورد في قصيدة "السجين دفين" حيث يقول:

إنْ كانَ يُدفنُ قبلَ الموت إنسانُ *** فَهْو السّجنُ عليه الدّهر سجَانُ

وقبرهُ السّجنُ يقضي فيه مدَّتهُ *** بدون نفع ولاَ معنى لهُ شانُ

---

[1]: فارس حسن محسن السلطاني، وصف الطبيعة في شعر الجوهري، ص 190.

[2]: علي البريمي، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المعاصرين، ص 248.

[3]: وفاء محمد شحدة عرامين، الصورة الشعرية عند على جعفر العلاق، عمادة الدّراسات العليا، برنامج اللغة العربية، جامعة الخليل، فلسطين، 2017م، ص 34.

دنياهُ أضيقُ دنيا عاشَها بشرُ *** إنْ لمْ يكنْ عندهُ صبرُ وإيمانُ[1]

يصور لنا الشاعر هنا عذاب الإنسان السجين وهمومه، فحياته في السجن أشبه بالدفن على قيد الحياة، ويلعب الدهر دور السّجان الذي يُحكم قبضته ويضيقها على السجين الذي لا يملك إلا الصبر والإيمان للتخفيف من معاناته.

يصف الشاعر معاناته في دنيا طغى فيها النفاق، فيصور لنا حاله ورجائه في جنة الآخرة ذلك من خلال وعضه لتلميذه "رضوان" يقول:

"أَرضوانُ" ما دنياَ النّفاق لنَا مأوىَ *** فهَلْ في غدٍ نأوي إلىَ جنَّةِ المأوىَ

لقيناَ بهاَ ماَ ســـــاَءنا وأمضَّــناَ *** فَهَلْ نَحنُ نلقى فيِ غَدٍ كُلّ مَا نَهْوىَ

أَرُضْوانُ فَلنلـــجأْ إلىَ الله ولنـقُلْ: *** أَلاَ فاحمناَ ياَ كَاشِفَ الضُّرِّ والبَلْوىَ[2]

صورة أخرى للإنسان تظهر في قصيدة "قلة الفهم"، حيث نجده يتغنى بالنبي محمد صل الله عليه وسلم ويذكر حرصه على العلم والتعلم فهو أساس النجاح وأوّل ما نُزل من القرآن فيقول:

وَلذاَ كَانَ أوَّل الدّيـــــن: اقرأْ *** ليكونَ الإسلامُ أقْوَى عَتَاداَ

وَالنبـــيُّ يَرَى التَّعلُّمَ فَرْضـــاً *** وَيراهُ مثلَ الجهاَدِ جِهاَداَ

وَدماء الشَّهيـــد تُوزَنُ والحبر *** فَلاَ تفضُلُ الدّماءُ المدَاداَ

قيمةُ النّاسِ ماَ لديْهِم من الفَهْمِ *** فلاَ يفضُل الجَمادُ الَجماَداَ[3]

فالشاعر يُصور لنا دماء الشهيد مُتساوية مع الحبر وهذا إن دلّ فإنّه يدُل على قيمة العلم والتعلم فكيف لأُمة اقرأ ألا تقرأ؟، والمسلمين إن أرادوا العُلى وجب عليهم التمسك بالعلم والهدى كأسلافهم.

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 12.

[2]: المصدر نفسه، ص 145.

[3]: المصدر نفسه، ص 48، 49.

وفي قصيدة "دُنيا الطفولة" يُصور لنا الإنسان "الطفل" وما يحمله من فرح وسرور للبيت، فالدار بلا أطفال كالمقبرة يسودها الصمت إذ يقول:

دُنْيَا الطُفولــة دُنــيَا لاَ تُــدانَيهاَ *** دُنيَا ولوْ أنّهاَ الدّنياَ وماَ فيهاَ

والطِّفلُ فيِ البيْتِ روح البيْتِ يملؤهُ *** حُبّاً وطُهرًا وتقديساً وتنزيهاَ

والبَيتُ رَوضةُ أنسٍ إنْ يَحلُّ به *** طفلٌ رأيتَ رداَءَ الأُنس كاَسيهاَ

والبيْتُ ليسَ به طفلٌ كَمقبرةٍ *** قدْ ألجمَ الصَّمْتُ منْ حلُّوا بواديهاَ[1]

فدنيا الطفولة تبقى أحلى دنيا ومهما بلغ الإنسان من العمر يبقى يحن إلى تلك الأيام والذكريات الأولى في حياته، وقد تغنى الشاعر بالكشافة وصوّر الكشاف على أنه ابن الطبيعة داعيا إياه إلى الحفاظ عليها والعمل لبلوغ الاستقلال لأن فجر الحرية قد اتضح سناه وما على الكشاف إلا أن يكون في طليعة الجيش يقول:

"كشّاف" ياَ ابنَ الطَّبيعة *** وابنَ الحُقولِ البديعهْ

كُنْ للبلاَد دَليلاَ *** كُنْ في الجِهاَد طَليعهْ

كُنْ للجَزاَئر عيناً *** تَرىَ وأُذناً سَميعهْ![2]

كما تظهر صورة الإنسان الداعية المناضل وتأثيره في البيئة المحيطة بها في قصيدة "الداعية" ذلك من خلال سعيه لعلاج النفوس المريضة وإيقاظ الهمم الغافية لكي يعيش الناس في سعادة وهناء بعيدا عن الشقاء يقول:

ألاَ إنَّ أفضلناَ الدَّاعيهْ *** بماَ اختاَرَ منْ رتبةٍ عاليهْ

وهلْ مثل مرتبةِ الأنبياءِ *** والرُّسْلِ مرتبةٌ ثانيهْ؟

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 194 .

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 18.

تصَدّوا لإِعْلاَءِ مَجد السَّماء *** فكانتْ مَساَعيهمُ بانيَهْ

وَعاشُوا يداَوونَ مَرضى النفوسِ *** فكانتْ علاَجاتهمْ شاَفيهْ

ولمْ يغفلُوا أنْ يبثّوا الحماسَ *** لكيْ يوقظوا الهِمَمَ الغافيهْ[1]

"فسحنون" هنا يصور لنا الداعية في مرتبة عالية تأتي بعد مرتبة الرسل وذلك لقيمته الجليلة في المجتمع وتأثيره على من حوله إيجابا. نجد أيضا صورة أخرى للإنسان الشهيد الذي أفنى حياته في الدعوة إلى الهدى والدين فجاءت شخصية "ضياء الحق" أنموذج للشخصية البطولية التي تضحي من أجل الوطن ودين الحق لينتهي المطاف إلى نيل الشهادة حيث يقول الشاعر:

أيخبُو "ضياءُ الحقِّ" والكونُ مُظلِمُ *** بكلِّ أَخي حكمٍ يجورُ ويظلمُ

وهلْ كضياء الحَقِّ يجلوُ دياجَياً *** يضلُّ بهاَ السّاري فينجُو ويسلَمُ

وإنَّ ضياءَ الحقِّ أقْسمَ أَنّــهُ *** بغيرِ هُدَى إسلامهِ ليسَ يحكمُ

وإنَّ ضياءَ الحقِّ قدْ عاَشَ داعياً *** لدينٍ به تسمُو النُّفوسُ وتعظُمُ

وياَ طالماَ كانتْ به العرْبُ سادةً *** وعاشتْ زماناً بالسَّعادة تنعمُ

فأرْدت "ضياءَ الَحق" أيدٍ أثِيمة *** ترَى الخيرَ في أن لاَ يرَى النُّور مُسلمُ[2]

كما يُصور لنا الشاعر الإنسان الراعي أو الرئيس الذي يؤتمن على رعيته بشكل يعكس واقعه آنذاك فيقول:

إذاَ الرَّاعي غَداَ ذئباً *** فمنْ ذاَ يحفظُ الغَنَمَا؟

وَصَارَ النَّاسُ ليسَ لهُمْ *** رُعاة تحفظُ الذِّمَـماَ

لذاَ قدْ عمّت الفوْضَى *** وَحبْلُ وئامناَ انْصَرَماَ[3]

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 92.

[2]: المصدر نفسه، ص 101.

[3]: المصدر نفسه، ص 91.

فالراعي إذا فسد ستضيع الرعية وقد صور الشاعر هذا الموضوع مستعينا بالذئب الذي يرتبط اسمه بالغدر والخيانة فالذئب لا يمكنه أن يرعى الغنم لأنها فريسته، نفس الشيء مع الحاكم الجائر فهو أخطر على شعبه من عدوه.

وفي قصيدة أخرى يتطرق إلى حقيقة الموت فيصوره لنا في شخصية "توفيق"، الإنسان الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا أمام أجل الله تعالى الذي لاقاه دون أن يُكمل مشاريعه في هذه الحياة الدنيا رفقة صديقه الشاعر فيقول:

ماَتَ توْفيقُ! كيفَ ياَ توْفيقَ؟ *** يَتحَدَّى اجتماَعَنا التَّفريقُ؟

كيفَ يعْدُو كفُّ المناَياَ عَلَى *** الصَّفّ فَيجتاحُ صَفّنَا التَّمزيقُ؟

وَمشاَريعناَ التي قَدْ بنــيناَ *** كيفَ يجتثُّ صرحهاَ التَّعوِيقُ؟[1]

أمّا في قصيدة "في ذكرى المولد النبوي الشريف" فيتغنى الشاعر بالخصال المُحمدية ويُظهر الحب الذي سكن قلبه للرسول صل الله عليه وسلم وشوقه لنشر دينه وتعاليمه، يقول:

هَدَفي في الحياَة أنْ أنشُرَ الدِّينَ *** الذي قَدْ دَعاَ إليْه محمَّدْ

وأُغَالي فِي مَدْحِهِ وَأُباَهِي *** بموارِثِه التي لاَ تنفَــدْ

وأُصاَفي مَن اهْتَدَى بِهُدَاهُ *** وأُجاَفي مَنْ حاَدَ عَنْهُ وألَحدْ

فالذي قَدْ أحبَّهُ ليْسَ يَشْقىَ *** وَالذي لاَ يحبُّه ليْسَ يسْعَدْ

وَالذِي يقْتفي خُطاَهُ سَيرْقىَ *** كُلَ يوْمٍ إلىَ المعالي ويصْعَدْ[2]

يصور لنا الشاعر النبي محمد كالنور وإتباع دينه وحبه هو السبيل للسعادة والراحة والبعد عن الشقاء، وفي قصيدة أخرى يصور لنا ميلاد النبي محمد على أنّه ميلاد النور الذي منح الحياة

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 232.

[2]: المصدر نفسه، ص 339.

ضياءً بعد عتمة طويلة فهو هدى الحائرين، يقول:

نحنُ في مولْد النبيّ "محمّدْ" *** كلُّ شيءٍ منْ حولناَ يتجدَّدْ

كُلُّ شَيءٍ تَدُبُّ فيهِ حياة *** لمْ تكنْ قَبلَ مولدِ النّورِ تُوجَـدْ

فبداَ البشْرُ فيِ الوُجُوهِ دَليلاً *** ناَطقاً بالسُّرُورِ بالنّورِ يُولَدْ

وَكَذاَ الطَّيرُ صاَدِحاَت تغنّي *** بلُحونٍ تُزْري بألحانِ "مَعْبَدْ"

وَالسَّماَءُ ازْدَهَتْ صَفاءً وَحُسناً *** وَعَلىَ البَحْرِ بسمَةُ البِشرِ تُشهدْ[1]

فميلاد النبي محمد أبهج جميع المخلوقات ولازال ذكرى ميلاده يبعث في النفوس الفرح والسرور كيف لا وهو آخر المرسلين وطه الأمين وشفيعنا يوم الدين.

* صورة المرأة:

يُكثر الشعراء من ذكر المرأة في الشعر الحديث وكذا الشعر القديم فهي رفيقة الرجل لذا جاءت صورهم الشعرية مليئة بها فهي الأم والأخت والزوجة، يقول أحد النقاد: "تحضر الأنثى بين ثنايا النص مقدّسة ساحرة معشوقة تُحيط بها هالة من الخصب والحب، يدللها النص ويحملها على جناح القلب العاشق"[2]، ومعنى هذا أن للأنثى رونق خاص تُضفيه على الأبيات مما يجعلها أكثر جمالا وجذبا للقُراء، وترد صورة المرأة في شعر سحنون في مواضع مختلفة كون أن المرأة هي الأم، الأخت، الزوجة، الابنة والحفيدة، يقول في قصيدة "عيد المرأة":

كُنت عيداً عَلىَ الدَّوَامِ مَديداَ *** وَعجيبُ أنْ يجعَلواُ لكِ عيداَ

هُمْ أَرَاَدُوا أنْ يمْدَحُوكِ فَماَ زَادُوا *** عَلَى أَنْ أَرَوكِ هَجْواً جَدِيداَ

أنتِ أُمّ وَأَنتِ بنت وأخْت *** ثمَّ زَوج تُشيدُ بيتاً سَعيداَ

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص332.

[2]: أحمد عفيفي، الصوت المختلف علي جعفر العلاّق في تجربته الشعرية والنقدية والإنسانية، دار فضاءات، عمان، ط1، 2011م، ص138.

كيفَ قَدْ أَنزَلوكِ عَنْ مُسْتَوىً *** صاَغَكِ فيهِ الإِسْلاَمُ عقْداً نَضِيداَ

ثُمَّ صاَغُوا قَضيَّةً مِنك لمْ *** تَبرَحْ حَديثاً مُكَرَّراً لَنْ يُفيداَ

أنتِ نِصْف مُكمِّلٌ نِصفَك الآَخر *** لنْ يَسْتَطِيعَ عَنْكَ محيداَ[1]

يُصور لنا الشاعر المرأة في مكانة عالية إذ أنها النصف المكمل للرّجل ويستغرب كيف جعلوها قضية وأوهموها بنقصها فالإسلام أوّل من أعزها وما يقال عنها الآن مجرد كلام فارغ لا يُفيد، وفي صورة أخرى للمرأة يستخدم عناصر الطبيعة فيرمز لها بالحمامة التي تحمي عشها، يقول:

حاَميةَ العُشِ عليكِ السَّلاَمْ *** عيشِي لأفراخِي حِمًى لا يُضامْ[2]

فأساس البيت ليس الإسمنت والحجارة وإنّما الأمّ التي تحمي صغارها من أهوال الدنيا، وفي قصيدة "أعائشتي" يذكر لنا الشاعر صفات ابنته عائشة ومكانتها في قلبه لأنها كانت أقرب بناته إليه وكاتبته الخاصة، يقول:

أ"عاَئشتي" أنتِ أمْنيتِي *** وأنت نشيدِي وأغنيَتِي

جمالٌ بديعُ وذَوقٌ رفيعُ *** وذهنُ سَريعُ، صَفاتُ ابنتي

فيا شغل فكري ويا وحي شعري *** ويا خمر سكرى ويانشوتيِ[3]

أمّا في قصيدة "حفيدتي" فيستعين الشاعر ببعض عناصر الطبيعة ليصور لنا حسنها وجمالها يقول:

أَأْنتِ ورد أمْ أنتِ "نسرين"؟ *** أمْ أنتِ كِلتاَهُماَ وياَسمينُ؟

بلْ أَنتِ أبْهىَ الزُّهُور أجمعهاَ *** بلْ أنت تَطوير وتمدينُ

منْ أينَ للورْد لون خدّيْكِ أمْ *** منْ أين للنّسرين تلوينُ؟[1]

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 323.

[2]: المصدر نفسه، ص 195.

[3]: المصدر نفسه، ص 189.

❖ صورة الحيوان:

اهتم سحنون بحيوانات الطبيعة المختلفة فصورتها حاضرة في أشعاره كذكره للطيور في كثير من القصائد، وكذا ذكره للأسود والأغنام والحيتان، والأبقار وغيرها...

* الطير:

يُعد الطائر "من أبرز العناصر في الطبيعة التي تحدث تأثيرا في نفس الشاعر وتشده إلى الحياة والتفاؤل والأمل[2]، ويشكل – الطير – في شعر أحمد سحنون ظاهرة فنية استحضرها في شعره لتوحي بدلالات متنوعة تعبر عن حالته النفسية وتعكس صورة الواقع الذي يعيشه، فتارة يستخدمه بطريقة تبعث على التفاؤل والأمل وتارة أخرى ليعبر عن معانات السجن قياسا على معانات الطائر داخل القفص، فالشاعر عايش السجن الذي تعيشه الطيور حين سُجن ظلما وبعدها خضع للإقامة الجبرية ببيته مما جعله يحس بآلام الطيور المحبوسة.

يذكر سحنون في قصيدة "الإخوان بلسم الأحزان" البلابل أو البلبل وهو طائر غالبا ما يكون للغناء والفرح والسرور، هذا ما نراه في القصيدة وهنا تكمن فعالية الصورة الشعرية في ربط الألفاظ بدلالاتها مع مجموعة من الألفاظ الأخرى التي تشكل نبع النص وجوهره، حيث يخاطب البلابل ويأمرها بالنشيد فرحاً بطلوع نجم الصّحب وملاقاة صديقه الشيخ إسماعيل، يقول:

اصْدَحي يا بلابلَ الأدْوح *** لصفَاء القُلوب والأرْواحِ!!

انشدي لطلُوع نجمٍ من الصّحْبِ *** نشيدَ السُّرور والارتياَحِ

ليسَ كالأصدقاء في الخطْب *** والأيامُ بالأصْدقاء جدُّ شحَاحِ

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 180.

[2]: وفاء محمد شحدة عرامين، الصورة الشعرية عند على جعفر العلاق، ص 44.

ينجلي الهّمُ باجتماعي بإخواني *** كَمَا يْنجَلي الدُّجَى بالصَّباحِ[1]

وفي مفارقة جميلة استخدم سحنون طير البلبل في صورة حزينة تعكس حجم معاناته في الإقامة الجبرية التي فُرضت عليه في منزله، إذ أنه فقد الإحساس بجمال الربيع وبهجته يقول:

يا مُعنَّى هذاَ الرّبيع أطلاَّ *** بعدَ عامٍ تحباهُ في الدَّار كلاَّ

لم تقدّمْ نفعاً ولم تسد خيراَ *** لشقيّ من بؤس دنياه ملاَّ

عادَ والبلبل المغرّدُ ماَ زالَ *** سجيناً يلقى هواناً وذلاَّ

إن يغرّد فليس يسمعه إلاّ *** اثنتان من أهله ليس إلاّ

زوجةٌ وابنةٌ أو المنزل العابسُ *** مذ صَارَ للشَّقاء محلاَّ[2]

كما نجده في قصيدة "ربيع ولكن" يستخدم الطير ليصور حالته في القفص إذ إنه صار حبيسا لمنزله مثل الطير بسبب دعوته للخير ونصحه للناس مثلما الطير يحبس لجمال صوته فيقول:

أنا الطائر المحبوسُ في القفص الذي *** أُعدَّ لكيْ يبقى مدى الدّهر سكناهْ

وما ذنبه إلاَّ رخامة صوتهِ *** أَيَجْزي بشرّ من يكُ الخير مأتاهْ؟

وذا مثل الدّاَعي إلى الخير لاَ يَرَىَ *** معينا عليه بل يُحاربَ مسعاهْ[3]

إنّ "براعة التصوير وحسن اختيار التشبيه والقدرة على توظيفه خاصة إذا كان من النوع الضمني كما استخدمه سحنون هنا، جعل من الصورة تستكمل عناصر الدقة في نقل المعنى واحتواء الدلالة

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 11.

[2]: المصدر نفسه، ص 17.

[3]: المصدر نفسه، ص 18.

مؤكدا على الحدث مبرزا أسبابه ودوافعه دونما تصريح، إنها القدرة على نقل المعنى بأدق وأوجز وألمع لفظة ومدلول[1].

ويقول أيضا:

اليوم يهتف كلّ طير في الحمى *** لحنا جديدا ساحرا لتّغريد[2]

يحتفل الشاعر في من خلال هذه الأبيات بذكرى إيقاف القتال إذ أن" لحن الحرية يقرع سمع الشاعر فيرسمه بأشكال مختلفة، والتغريد معادل صريح ومناسب لهذه الحقيقة التي تمكنت من لبه وشغلت عليه يقينه"[3].

* الأسد:

يُعتبر الأسد من الحيوانات المتوحشة التي تُعرف بقوتها وبطشها وشجاعتها، إذ له هيبة خاصة فهو مصدر للرعب والخوف، "واتخذ بتعدد أسمائه حيزا دلاليا من الإعجاب بقوته وإقدامه، فقد أغنى ذكره بعض القصائد القديمة في المدح، وجُسد من خلالها الممدوح في أكمل صور القوة والشجاعة والبأس، فحضوره كقيمة فنية دلالية غائر في العمق في تاريخ التعبير الشعري في ذاكرة الأمة العربية"[4]، واستخدمه سحنون في العديد من قصائده بصور مختلفة، ففي قوله:

ياَ لسخْفِ الحياة سادَ اليهُودَ *** كيْفَ للعرْب بعدهُم أن يَسودُوا

لمْ يعدْ للأسُود قدر إذاَ ماَ *** وُلّيَ الأمر في الحياةِ القُرودُ!

عاَشَ أجدادناَ أُسوداً أَلاَ نَهلكُ *** حُزناً إنْ أنكرتناَ الجدودُ[5]

---

[1]: يُنظر، سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون–أنموذجا–، مذكرة الماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2007/2008م، ص 138.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 78.

[3]: سليم كرام، الشعر الجزائري الحديث "أحمد سحنون" –أنموذجا–، ص 137.

[4]: يُنظر: المرجع نفسه، ص 163.

[5]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 84.

يصور لنا الشاعر الأسد بطريقة إيجابية فليس الأسد ذلك الحيوان الضاري، إذ إنه يشبه أجداده بالأسود في القوة والشجاعة والحكم، وذكره بنفس المعنى في قصيدة "من وحي عرفات" إذ يقول:

جَعَلَ الله الذي *** ينوي لهاَ الشَّرَّ فداَهاَ

وَبَنُوها كُلُّهمْ كالأسد *** يَحْمُونَ حمـــاَهاَ

هُمْ لغيْرِ الله لمْ يعنُوا *** ولمْ يحْنُوا الجِباَهاَ[1]

فالأسد هنا في صورة الحامي والمدافع عن الحق والأهل والوطن، أمّا في قصيدة "السجن في الدار" فقد أورد الأسد أو السبع بصفة سلبية فهو الحيوان المفترس وقد ألبس هذه الصفات إلى الإنسان في صورة بليغة تعبر عن خبث بعض الناس وظلمهم، يقول:

عرفت السّجنَ في السّجن ولم أعرفه في الدّارِ *** فإن أخرج من السّجْنِ فلمْ أخْرجْ من الدّارِ

ولا أشْكُو من الله ولاَ من حُكْمه الجاري *** ولكنْ من أخي الإنسان ذاك السّبع الضَّارِي[2]

غير أنّ الشاعر تدارك صفة الإنسان عن السبع في إشارة منه إلى خطورة الأوّل على الثاني، حيث يقول في البيت الموالي:

وحَاشَا سبع الغابة أن يصبح إنساناَ!!! *** فَماَ في حيوان الغاب من يأكل إخوانا!![3]

فحتى الحيوانات المفترسة لا تأكل إخوانها من بني جنسها، غير أن الإنسان يؤذي أخاه الإنسان، كما استخدم سحنون الكثير من الحيوانات الأخرى مثل الحيتان والأنعام والكلاب والفئران في مثل قوله:

الإيمان، الإيمان، فالماءُ في البَحرِ *** غذاءٌ تحيَـا به الحيتانُ[4]

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 325.

[2]: المصدر نفسه، ص27.

[3]: المصدر نفسه، ص27.

[4]: المصدر نفسه، ص41.

يستعين سحنون بالحيتان ليصور لنا حاجة الإنسان للإيمان، فالإيمان للمسلم مثل الماء للحوت، وفي قصيدة أخرى استخدم عواء الكلب في صورة تدل على افتراءات بعض الأشخاص وتأثيرها السلبي على الشباب فهي تحطم أحلامهم وتثبط عزائمهم، يقول :

ماَ لناَ ياَ ربّ من ذَنب سوَى *** تُهَمٍ لّفقهاَ كَلْبٌ عَوَى

كَمْ بهاَ من طاقة قَدْ عُطِّلتْ *** وَشَبَابٍ ناَضِرِ العُودِ ذَوَى[1]

كما يصور لنا الحالة التي آل إليها المسلمون من قتل، وذبح كالأغنام، يقول:

يُذبحُ المسْلمونَ كالأغْنام *** في بلاَد تَدينُ بالإسْلاَمِ

يُذبحونَ وذابحُوهُم أَشقّاَءُ *** اسْتباحُوا قطيعَةَ الأَرْحامِ

هكذاَ عيدناَ أَضاحيه منْ فَتياَننَا *** الغُرّ لاَ من الأنعامِ[2]

❖ <u>صورة النبات:</u>

يُعد النبات أحد عناصر الطبيعة التي كانت ضمن اهتمام"أحمد سحنون" حيث أوردها في العديد من صوره الشعرية، فالتفت إلى الأشجار وذكرها مستمداً منها العطاء والخير، لاسيما أنّها رمز متجذّر في الأرض، كما ذكر العشب والورود والأزهار وغيرها....، وهناك نماذج كثيرة للنباتات في شعره نذكر منها ما ورد في قصيدة "سجين الدار" إذ يقول:

سَجَنوني بالدّار إذ حسبُوا *** داريَ سجناً فأخطأوا في الحسابِ

إنّ داري ليستْ بسجن ففيهاَ *** كُتبي، وهيَ مِن أجل صحابي

هي "سوق عكاظ" لكنَّها قدْ *** عَوّضت كل شاعر بكتابِ

ما نظرت إلا وأبصرتُ فيهاَ *** من ثمار الأفكار كلَّ لُبابِ

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص41.

[2]: المصدر نفسه، ص 327.

وإذا الدَّار أصبحت مثل بستانٍ *** بها كُلُّ مشتهى الألبابِ[1]

استمد الشاعر عناصر الطبيعة "الثمار ،البستان" ووظفها في صورة تعكس عطاء الطبيعة اللامتناهي من بساتين وما تحمله من ثمار، إذ جعل مكتبته بمثابة بستان يُغنيه ويكفيه عن الخروج من الدار وأصبح السجن لا معنى له بوجود هذه الكتب، وفي نفس المعنى يقول في قصيدة "مكتبتي المبعثرة":

يَا كُنوزاً مُبَعْثَرَهْ *** وَهيَ للعرْب مَفْخَرَه

يَا تُراثاً منَ الحجَى *** وَالعُقُولِ المُفكّره!

يَا وُرُوداً جَميلَةً *** يَا بَساَتين مُثمرَه

يَا نُفُوساً نَبيلَةً *** يا عُيُونَـاً مُعَبرَه[2]

استخدم الشاعر الورود والبساتين في صورة ترمز للعطاء والجمال الذي تحضى به كتبه، ونجده يُعبر من خلال عناصر الطبيعة عن فرحة الناس بذكرى مولد النبي 'محمد' صل الله عليه وسلم يقول:

حقًّا أنا في البيت لا في مسجد *** للآي في جنباته ترديدُ

وكَسَتهُ ألوان العبادة بهجةً *** وتجاو الإنشاد والتَّجويدُ

والنَّاس في أنس وفيض مسرّة *** مثل الغصون مع النّسيم تميدُ[3]

وفي موضع آخر يوظف "الزرع" في صورة بليغة تدل على قيمة التناصح بين الناس ووجوب الأخذ بالنصيحة، يقول:

زَرَعْنَاَ وَلكنْ ماَ انتفعناَ بزرعـــــناَ *** لأناَ عَدمْناَ المستفيدَ من الزَّرْعِ

---

[1]:أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 16.

[2]:المصدر نفسه ،ص 173.

[3]: المصدر نفسه، ص 25.

وَمَنْ لم يجدْ في النَّاس أهلاً لنصحه *** فلاَ خيرَ في نصْح يكونُ بلاَ نفْعِ[1]

فالنصيحة أشبه بالبذرة أو بالزرع الذي ينتظره الفلاح أو الناس للانتفاع به وبخيراته لكن إذا أصبح الناس في غنى عن الاستفادة به فلا فائدة من زرعه، نفس الحالة تنطبق على النصيحة إذا لم يأخذ بها الناس فلا فائدة من النصح، كما استخدم أيضا عناصر الطبيعة في التغني بأحفاده يقول:

"أَعاَدلُ" ياَ كوْكباً في سمائي *** وَياَ ثمراً ناضجاً منْ عَطاَئي[2]

ويقول أيضا: أأْنت وردٌ أمْ أنت "نسرين" *** أمْ أنت كلتاَهُماَ وياَسمينُ؟[3]

2.2: الطبيعة الجامدة (الصامتة):

لم تقتصر عناية سحنون على وصف الطبيعة المتحركة وتصويرها فحسب بل أولى اهتمام بالطبيعة الصامتة أيضا، وتُعرف هذه الأخيرة بأنّها " تلك الجمادات المُنتشرة على سطح الأرض الخالية من الحياة التي يستشعرها الإنسان في الحيوان والطير والحشرات من الأرض والبحار والينابيع والجبال والوديان والمروج والغابات والسهول وما شابهها"[4].

كما تتشكل "مكونات الطبيعة الجامدة من العناصر الموجودة في محيط السماء الرّحب وما يحويه من شمس وبدر وقمر ونجوم وليل ونهار وصباح ومساء وفجر وشروق وغروب وعناصر أخرى موجودة على سطح الأرض"[5] مثل الأنهار وغيرها من مظاهر الطبيعة الجامدة.

❖ المائيات:

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 52.

[2]:المصدر نفسه، ص 182.

[3]: المصدر نفسه ، ص 180.

[4]: فارس حسن محسن السلطاني، وصف الطبيعة في شعر الجوهري، ص 290.

[5]: زين العابدين بن زياني، مصادر تشكيل الصورة ودلالتها في الشعر الملحون الجزائري، ص 22.

تُعرف المائيات بأنّها "الشعر المُختص بوصف الأنهار والبرك والسواقي"[1]، وقد ذكر "سحنون" الماء في العديد من قصائده كيف لا وهو الذي يبعث الحياة في كل شيء، فأورده بألفاظ مختلفة مثل الغيث، المطر، الأنهار، البحر، السيل وغيرها...

* المطر:

وظف 'أحمد سحنون' المطر في قصائده بكثرة ليكسب صوره رونقا وجمالا، فنجده في قصيدة "الشتاء والفقير" يصور الغيث من جانبين، فيقول:

يسْمعُ الرَّعدَ قاصفاً فتراهُ *** خائفاً منْ وقُوع شَرِ كبير

ويرَى السُّحبَ في السَّماء فيهتزُّ *** اهتزاز المروّع المذْعُورِ

ماَ يراهُ الغنيُّ منْ نعمَة الله *** يراهُ الفقيرُ لَسْعَ شُرور

للغنّيِ الزّرعُ الذي يَطلبُ *** الغيثَ وليسَ للجائعِ المقرُورِ[2]

يُصور لنا هنا حجم الفزع والخوف الذي يعيشه الفقير عند رؤيته لسُّحب في السماء وكيف أن الغيث يتحول من نعمة إلى نقمة عنده وذلك بسبب فقره وعدمه، عكس الغني الذي يستبشر بقدوم الغيث ويقول في نفس القصيدة:

واذْكرُوا إخْوةً لَكمْ لاَ يبيتُونَ *** شباعاً أوْ في فراشٍ وثير

إنَّهمْ مثلكمْ قد اندَفعُوا *** كالسّيْلِ في خوضِ ثورة التّحرير[3]

---

[1]: آدم محمد أحمد الحاج الزاكي، محمد داود محمد داود، شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي بين الأصالة والتقليد، ص 74.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 273.

[3]: المصدر نفسه، ص 274.

فهو من خلال هذين البيتين يصف لنا شجاعة الفقراء في محاربة العدو فيصورهم كالسيل المُندفع الذي لا يوقفه شيء، ويقول في قصيدة أخرى:

فَجاءَ الرَّحُمَةُ الكبرى ليُحي *** نفوساً جْدبةً كجديب فَقْر

فأحياهمْ وصَارُوا خيرَ جُنْدٍ *** لنشْرِ الدّينِ في سَهْل ووعر

كَذَاك الأرض تحياَ بعْدَ جَدْبً *** إذاَ ماَ جاَدها وابلُ قَطر[1]

يستخدم الشاعر عبارة "وابل قطر" في صورة ترمز لتأثير النبي محمد صل الله عليه وسلم في البشرية فشبهه عليه الصلاة والسلام بوابل القطر، الذي يصب الأرض الجدباء فتُحيه كما أحيا النبي الأمين نفوس المؤمنين، كما يصور جمال بلاده ويتغنى بها وبمناظرها وهوائها ومياهها العذبة فيقول:

بلدي الذي قدْ عشْتُ تحت سمائه *** ونعمتُ فيه بمائهِ وهوائه

وقضيتُ فيه شبيبتي وكُهوُلتي *** وَشغفْتُ فيه بحسْنه وبهاَئه[2]

* <u>البحر:</u>

فهو يندرج ضمن المائيات أيضا، وقد "انقسمت نظرة الأدباء له إلى قسمين فمنهم من يرى فيه الصديق الذي يبث إليه أحزانه، ومنهم من يراه العدو الذي لا يرحم فيخافون ظلماته، ويهابون أهواله التي لا تفرق بين الصديق والعدو"[3]، و"سحنون" كان من الذين يحبونه إذ يستحضره في العديد من قصائده بما فيه من خيرات وراحة وأنس يقول:

لله ماَ أحْلىَ المقاَم "بدّلس" *** والبَحْر يبدُو فتنةً الأَلباَب

---

[1]:أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 44.

[2]:المصدر نفسه، ص 114.

[3]: يُنظر: محمد بن عمر بن صالح الجديعي، المائيات في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، مذكرة الماجستير، كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، 2015م، ص 22.

والموجُ يهمسُ للنَّسيمِ بسرّه *** فيُجيبهَ بالبشْر والتّرحاَب

والشَّمسُ تبعثُ بالشَّعاع تحيةً *** تنسابُ بينَ جنادل وعُباب[1]

صور لنا الشاعر جمال الطبيعة من خلال البحر وأمواجه التي يداعبها النسيم مُظهرا بذلك الانسجام والألفة بينهما، وفي قصيدة أخرى جاءت صورة البحر ممتزجة بمشاعر الشاعر وخواطره فهو الأنيس والونيس الذي يشكي له هموم الحياة، وهو ملهم أشعاره، فيُشخصه ويُخاطبه كما يُخاطب الصديق ويُمعن في تصويره ليُجسد من خلاله حالته النفسية، يقول:

بقرْبكَ ياَ بحرُ قرَّ قَراري *** وَهلْ كجواَركَ حسْن جواَر؟

نأيتُ به عنْ هُمُوم الحَياَة *** وبَطش الطُّغاة وبأْس الضَّواري [2]

ويقول في قصيدة أخرى:

ياَ بحرُ ياَ إلفَ رُوحي *** وأُنسها حينَ تسأَم

نجواَكَ دنياَ خيَالي *** إذاَ دُجا اللّيلُ خيّم

ففي هَديركَ شعرٌ *** به النَّســـــيمُ ترنّم

وفي صفاَئكَ سحْرٌ *** كأَّنهُ سحرُ مبْسم[3]

من خلال هذه الأبيات يظهر لنا مدى تعلق الشاعر بالبحر وحبه له إذ يصوره بأنه الأنيس الذي يبهج الروح وبالسحر الذي يخطف القلوب والعقول كما شبه هديره بالشعر الذي يطرب الأسماع.

❖ <u>السمائيات:</u>

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 276.

[2]: المصدر نفسه، ص 280.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص33.

تُعد السمائيات "رمزاً للصفاء والخلود والجمال والسمو والرفعة"[1]، وقد تغنى الشاعر أحمد سحنون بجمال هذا المظهر وشتى عناصره من شمس وقمر وليل ونهار، والرّعد والسحب وغيرها...، كما وظفها في تشكيل مختلف صوره الشعرية وأسقط عليها من مشاعره وانفعالاته على نحو قوله:

قَضَى السَّجين نهارهْ *** بصحَّة منهارهْ

وَمَا قَضَى اللّيل إلاّ *** بحرقَة ومرارهْ[2]

وظّف الشاعر الليل كرمز دال على مدى حزن السجين ومعاناته التي تزداد وطأتها في الليل، حيث يتماسك في النهار على رغم انهيار صحته لكنه يستسلم في الليل فيقضيه بصعوبة متجرعا الحرقة والمرارة، كما وظّف السحاب في صورة فنيّة جميلة لوصف شهر الخريف، يقول:

قدْ أطلَّ الخريفُ متلحفاً بالسُّحب *** في عزَّة وكبريـــاَءُ!!

يتهاَدَى ماَ بينَ صَفَيّن منْ زَهْر *** وعُشْب كالغادَة الحسناَءْ[3]

ووظّف أيضا الشمس باعتبارها مصدراً للنور والضياء في العديد من القصائد ليعبر بها عن حالاته النفسية، يقول:

رَمضانُ ابتسمُ فلسْتَ عَبوساً *** لسْتَ تلقىَ في المؤمنينَ يؤُوساَ

ابتسمْ طاَلماَ طلعتَ علىَ الدُّنياَ *** بدوراً في ليلهاَ وشمُوساَ [4]

استعان الشاعر بالشمس والبدر ليصور جانب الخير الذي لازال موجودا في الدنيا ولدّعوة إلى عدم اليأس والقنوط، ويقول أيضا:

---

[1]: كاوة إسماعيل عبد الله، الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس، رسالة مقدمة لإكمال متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة السليمانية، 2008م، ص 19.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون،ج2، ص 15.

[3]: المصدر نفسه، ص 272.

[4]: المصدر نفسه، ص 290.

اِيه! هَلْ فيكَ يا ربيعُ انعتاَق *** لبني الضاد منْ حياَة الخضوعِ

هلْ يَرى المسْلمونَ فيكَ خلاَصاً *** منْ أساَر مضْن ورق فظيع

لكَ شمسٌ طَلوعهاَ مستمرّ هلْ *** لشمسٍ لناَ اختفت منْ طلوع[1]

يصور الشاعر في هذه الأبيات الربيع على أنه إنسان فيخاطبه، يسأله هل يتغير حال الأمة العربية موظفا في ذلك الشمس التي يدل طلوعها على الأمل والدفء وانتهاء أيام البرد والمعاناة.

ويقول أيضا في استعمالاته للفظة الشمس:

لصحرائناَ فضْلٌ يُذاَعُ ويذْكُر *** ويُوصَفُ بالمجد الذي ليس يُنكرُ

ألم تكُن الصَّحْراءُ مَشْرق شَمسنا *** يشعُّ عَلىَ الدُّنياَ سَناها ويُنشر؟[2]

عبّر الشاعر عن الصحراء الجزائرية وتغنى بها مُستخدما في ذلك صورة الشمس في إشراقها وضيائها "فلصحراء عند الشاعر دلالة متنامية فهو يرسم قداستها إلى القارئ بوعي تاريخي نافذ عندما قدم مديحا للصحراء، منميا هذا العشق مستحضرا كما هائلا من القداسة لاعتباراتها التاريخية ومرجعيتها الدينية، فهي منطلق الإسلام وحاضنة النبي في دعوته"[3]. كما استخدم الشمس والقمر والنجوم في صورة مغايرة تعبر عن حزنه وأسفه على موت رفيق دربه "ابن باديس" يقول:

اكْسفي ياَ شموس *** واحتجب ياَ قمر

واطلعي بالنّحوس *** ياَ نُجوم القدر

وأطيلي العبوس *** ياَ ثغور الزهر

قد غدا باديس *** مودعا في الحفر[4]

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 45.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 279.

[3]: يُنظر: سليم كرام، الشعر الجزائري الحديث "أحمد سحنون" –أنموذجا–، ص 102.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 242.

في هذه الصورة الشعرية خاطب الشاعر الشمس والقمر ومختلف عناصر الطبيعة الأخرى طالبا منها الحزن والعبوس لوفاة أحد أعلام الإسلام الأمام ابن باديس رحمه الله.

تمثل هذه النماذج بعض مظاهر الطبيعة بشقيها الصامت والمتحرك، التي استقى منها أحمد سحنون بعض صوره الشعرية، فكانت السبيل الذي يرجع إليه في فرحه وحزنه ليُعبر من خلالها عن خلجاته ومشاعره بمظاهر ترصدها عيونه من الطبيعة.

3: المظـاهر الاجتمـاعيـة:

للحياة الاجتماعيّة أثر كبير وبارز عند الشُعراء المعاصرين، فهي الرّكيزة الأساسية التي يستقي منها الشاعر أفكاره وصوره، إذ إن الشاعر "لا يمكن أن ينطلق من فراغ في رسم صوره، بل هو دائما في تفاعل مع واقعه الاجتماعي والإنساني وما يسوده من قيم وأفكار، فتشكل الحياة الاجتماعية مصدرا أساسيا في بناء الصورة، وبذلك فالشعر وثيقة تاريخية بالغة الأهمية"[1].

وقد اهتم الشعراء بالمشاكل والأوضاع التي تعيشها مجتمعاتهم، كالفقر والحرمان وظلم الاستعمار، والجهل والأمية... وغيرها، كما سعوا جاهدين إلى دعوة أبناء وطنهم للالتزام بالفضائل والتحلي بالخلق الحسن، فالشاعر يحس ويعيش بكيانه ما يعانيه إخوانه، فيعكس تلك المعانات ويصورها بكل صدق، فيكتسي شعره رونقا وجمالا.

وقد كان لأشعار"أحمد سحنون" صدى واسع في المجتمع الجزائري، لأنه يلج إلى صميم محن البيوت الجزائرية ويساندهم في محنتهم، كما نجده داعيا أبناء الأمة إلى مواجهة الواقع والدفاع عن مبادئهم والسعي إلى العلا والمعالي، فشعره كان نافذة نتعرف من خلالها على الأوضاع الاجتماعية السائدة في تلك الفترة، وعن الواقع المعاش في الجزائر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، ومن أهم المظاهر الاجتماعية في شعره نذكر:

❖ ***التغنـي بالشهداء والثوار:***

لقد كانت الثورة أهم قضية للمجتمع الجزائري في ذلك الوقت، وكانت العائلة إذا أُستشهد أحد أفرادها تفتخر وتتباهى بين الناس وتزُفه بالزغاريد إلى قبره، و"أحمد سحنون" تغنى في العديد من قصائده بهؤلاء الأبطال، مثال ذلك قوله في قصيدة "الفدائي":

---

[1]: كبلوتي قندوز، مصادر الصورة الشعرية عند شعراء المدينة في العصر الجاهلي –قيس بن الخطيم أنموذجا–، ص 217.

يا لنسر في سماء المجد حلق

وبأهداب المعالي قد تعلق

مذ غدا كالنجم في الأفق تألق

عشقته كلّ أبصار البراياَ

ذو إباء يتحدّى الحدثاناَ

لاَ يبالى حتفه لا يتوانَى

كلّماَ حورب أو سيم هوانا!

المناياَ عنده دون الدَّناياَ[1]

يتغنى الشاعر بالفدائي الحُر ويرسم له صورة مميزة من خلال توظيفه لعناصر الطبيعة في وصف شجاعته، حيث شبهه بالنسر المحلق في السماء للدلالة على مكانته العالية وكذا بالنجم في إشراقه وتألقه، كما وظف مثلا عربي قديم "المنايا ولا الدنايا" في صورة تعكس كرامة وإباء هذا البطل الذي يختار الموت على الرُضوخ للمستدمر الفرنسي الغاشم.

ويتغنى الشاعر بابن بلده ورفيقه في الجهاد وذلك من خلال تذكيره بأجداده العظماء ومآثرهم، فيصورهم في صورة العتاد الجيد الذي يحارب به العدو وبمشعل الحق الذي يهدى الأجيال في ظلمات الاستعمار إلى الطريق السوي، كما يدعوهم إلى مواصلة الثورة لتحرير الشعب الذي بات مكتوم الفؤاد، وهذا ما ورد في قوله:

ياَ أخي يا ابْن بلادي *** يا رفيقي في الجهادْ!

ياَ سَليل "ابن نصير" *** وحَفيد "ابن زيادْ"

ياَ عتادا للعلا والمجد يـــاَ خَير عتاَد

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 88.

مشْعل الحقّ الذي تحمل للأجيال هاذْ!

صوتك المفعم بالصّدق إلى التَّحرير حاد

فاشف بالتحرير شعبا بآت مكتومَ الفؤاد[1]

وفي صورة أخرى يرسم لنا الشاعر حال الشهيد الجزائري وكيف أنّه حتى وهو في جنات الخلود تصديقا لقوله تعالى: « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »[2]، يبقى باله مشغول بمصير بلاده وشعبه ويرتاح عند سماعه بخبر نيل الاستقلال يقول:

اليومُ ينعم بال كلّ شهيد *** في خلده ويقيْم أعظم عيد!

ويَقول كلّ فدائي في حَفله: *** اليوم قَد حطّمت كلّ قيودي![3]

ولأن الشهادة ذات قيمة عالية عند الجزائريين خاصة سُميت الجزائر بأرض المليون ونصف المليون شهيد، تقديسا لمكانتها وإقرارا بفضل هؤلاء في نعمة الاستقلال التي نعيشها اليوم فقد ضحوا بالنفس والنفيس وبالأهل والأولاد فداءً لهذا الوطن، ولأن "أحمد سحنون" وطنّي بامتياز فقد نظم نشيدا تكريما لهم بعنوان "نشيد المليون ونص شهيد" يقول:

موْطن المليون والنّصف شهيد *** حاز فخراً لمْ يحزه موطنُ!

سوفَ يَبقى خالدا ليس يَبيد! *** مَجد شَعب رددته الألسُن!

أيّ أرض قَدْ حَوت مَجد السَماء *** تلك أرض الشّهداء المنجبه

تنْبت الأبْطال والصيد كماَ *** تنبت الزّهر الحُقول المخصبه[4]

استعان الشاعر بعناصر الطبيعة (الأرض، السماء، الزهر، الحقول) في رسم صورة موطن المليون

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 317.

[2]: سورة أل عمران، الآية 16.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 78.

[4]: المصدر نفسه، ص327.

ونصف مليون شهيد، الجزائر التي تنبت الأبطال والشهداء كما تنبت الأرض الخصبة الحقول والأزهار.

❖ ***معاناة السجن:***

عبّر سحنون من خلال قصائده عن وضع السجين ومعاناته داخل أسوار السجن، لأنه عايش هذا الوضع فقد سُجن ظُلمًا بسبب دعوته للحق، وبعدها أُجبر على الإقامة الجبرية في منزله، يصور لنا من خلال هذه الأبيات الواقع المرير والمؤلم الذي يتخبط فيه السجين والوحدة التي خيمت عليه خلال فترة اعتقاله يقول:

قَضَى السَّجين نهاره *** بصحَّة مُنهاره

وَمَا قَضَى اللّيل إلاّ *** بحرقَة ومراره

يقولُ من غير وعيٍ *** هلْ قادم لزيارة؟

ومنْ يخبّر عنه *** أصحابهُ وصغاره؟

مَاذَا جناهُ فيأوى *** سجنًا ويتركُ داره؟

ويحرمُ النَّاس منهُ *** علمًا حباهُمْ ثماره[1]

وقد صوّر في قصيدة أخرى حال السجين الذي فقدته عائلته وأصبح أبناؤه يعانون اليتم والفراق والتشرد، يقول:

إخْوَاننَا في السِّجْن في مأْتمٍ *** وَلَيْلُهمْ هَمٌّ وَتَسهيدُ !!!

والبيْتُ لمْ يبقَ لهُ عَائلٌ!! *** لمْ تحوه الصَّحْرَاءُ وَالبيد

والزَّوْجةُ الوَلهى كَواَهاَ الأَسى *** لحزْنها مذْ غاَبَ تَصْعيد

أينَ أبي يسْأَلُ أبناَؤها ؟ *** أينَ أبي قدْ أقبلَ العيدُ ؟

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص15.

وَماَ لها علْم فَيُسْكتُهمْ *** يتم بلاَ يتم وتَشْريد[1]

فمعاناة أطفال السُجناء مثل معاناة اليتامى الحقيقيين فكلاهما يشكو ألم الفراق والحنين لآبائهم الغائبين خاصة في الأعياد حين تجتمع العائلة كلها إلا ذلك الغائب العزيز.

❖ ***حب الوطن:***

إن حب الوطن فطرة تسري في الدم، فلا نقدر الابتعاد عنه، كيف لا وهو الحضن الدافئ والنسيم الذي يرد لنا الروح عندما تضيق بنا الحياة، و"أحمد سحنون" من الشعراء الذين نظموا قصائد في حب الوطن نجد منها قصيدة "موطني" يقول فيها:

شدّ ما ألقاهُ من طول أسايا *** كلّ يوْم حرّه يَصلى حشاياَ!

إنَّ ماَ ألقاه مِنْ شَوق إلى *** وَطني قَدْ كاَد يَذروه شَظايا!

أناَ لا أرضى حَياتي مبعدا *** عَنْ بلادي أناَ لا أسْلو حمايا!

وإذا لَمْ ألق الرّجعى وَلَم *** تره عَيني فياَ طول أسايا!

وإذا لمْ ألق أحبابي به *** عاَجلا لابدّ أَن ألقى المناياَ[2]

يُصور الشاعر معاناته النفسية جراء بُعده عن وطنه وكيف أنّ شوقه إليه يذروه شظايا، فهو يرفض الحياة بعيدا عنه بل إنه سيلقى حتفه إذا بقي على حالته تلك ولم يُقابل أحبابه، فلم يعد يستطيع تحمل البعد أكثر وفي هذه الصورة يعكس الشاعر مدى حبه لوطنه الغالي الجزائر.ويقول في موضع أخرى:

كلُّ شيء نسيته ياَ بلادي *** وتلاَشت أطَيافه منْ فؤادي

غير ذكراَك فَهي تكْمُن في قَلبي *** كَمون اللّظى بقلب الرَّماد!

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 319.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 117.

والشَّذاَ في الزّهور والحبّ في *** الأحشاء والكبرياء في الأطواد

فإذا ما بدا الصَّباح تجلت *** أغنيات سحرّية الإنشاد!

وإذا ماَ دجـا الظلام تراءت *** في طيوف تحوم حول وسادي

وإذا ماَ بلابل الدّوح غنت *** قلت: صوت الحمى إلى المجد حاد

وإذا ما الرّياض أبدت حلَاها *** قلت حسن من "الجزائر" باد![1]

من خلال هذه الأبيات نلاحظ مكانة الجزائر في قلب الشاعر حيث يصور لنا ذكراها في قلبه مُستعينا بمختلف العناصر الطبيعية من زهور، وطيور، ورياض وغيرها ليوصل لنا إحساسه، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على صدق حبّه لوطنه الجزائر، وفي موضع آخر يصور وطنه بأنه "الفردوس" أي جنة على وجه الأرض، ويصف بعده عنه بأنه سوط أي نار يقول:

ماَ بلادي غير فردوس وماَ *** غُربتي عنهاَ سوى سوط[2]

وفي قصيدة أخرى يقول:

يعزُّ عليَّ أني لا أراك! *** وأنّي لا أشمّ شذا ثراك!

وأن أبعدت عنك وكيف يسلو *** فؤاد لا يسلّيه سواك!

وأن أسكت عَن شدوى وَكانت *** تغاريدي تردّد في ذراك!

وأن فارقت مَنِ أَهوى برغمي *** وماَ ذنبي الوحيد سوى هواك

ولكن كلّ ذاك يهون عندي! *** إذا كان السّبيل إلى علاك[3]

يُصور لنا الشاعر معاناته وألمه الكبير جراء بعده عن وطنه، إلاّ أنّه يتحمل ذلك من أجل عُلا وطنه ورفعته وذنبه الوحيد هو حبه الكبير لوطنه الذي كان سببا في سجنه.

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 92.

[2]: المصدر نفسه، ص103.

[3]: المصدر نفسه، ص 94.

❖ ***الفخر باللغة العربية:***

إنّ اللغة العربية أو لغة الضاد كما سماها الشاعر في ديوانه هي لغة السادة والأشراف، إذ يكفيها فخرا أنها اللّغة التي أُنزل بها القرآن الكريم يقول عــزّ وجــل: « إِنّا أَنْزَلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »[1]، إنّ "دلالات الكلمات القرآنية المُتفرعة عن هذا الجذر اللغوي (ع ر ب) في كتاب الله تعالى تدور داخل إطار من المعنى هو: الكمال والتمام والخلوّ من العيب والنقص، غير أنّ عربيا هنا لا تعني قوم العرب وإنما تأتي متعلقة بكتاب الله تعالى، وبآلية اللغة وأسلوب المخاطبة وطريقة التبيان"[2]، كما أنّ النبي محمد صل الله عليه وسلم بُعث بلسان عربي، إضافة إلى أنها لغة أهل الجنة كما يقال، يقول سحنون فيها:

يا لغة السّؤدد والفخار! *** ويا لسان السّادة الأخيار

ويا سجلاّ خالد الآثار! *** على مدى الدّهور والأعصار[3]

يصور لنا الشاعر اللغة العربية في منزلة عالية إذ أنها سجل العرب المُوثق لتراثهم وحضارتهم على مرّ الزمان وهي لغة الشرف والسادة من الأقوام، ويقول أيضا:

لغتي بها شاد العربُ

مجدا به ساد الأدبُ

إن ذدت عنها لا عجبُ

فلغيرها لا أنتسبُ

لغتي هيَ الكنزُ اللّباب

لغتي هيَ السّحر العجاب

---

[1]: سورة يوسف، الآية 2.

[2]: يُنظر: عدنان الرفاعي، المعجزة الكبرى، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، ص 422.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 134.

مذ أصبحت لغة الكتاب

شاب الزّمان ولم تشب[1]

يفخر الشاعر بلغته العربية ويصورها في أبهى صورة كيف لا وقد حافظُها القرآن الكريم على مر الزمان فمهما طال وتبدلت الأحوال لن يمسها أي تحريف تصديقا لقوله تعالى: « إنّا نَحْنُ نَزّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »[2]، فحفظ العربية من حفظ القرآن لأنه الحامي الأوّل لها، ويدعو سحنون المعلمين والمربين في المدارس أن يربوا نشئا صالحا يحمي اللغة العربية ويفك أسرها من الأعادي فنشئنا هو رجائنا يقول:

هاَتِ منْ نشءُ الحمىَ خيرَ عتاَدْ *** وادَّخرْهم لغد جنْدَ جهاَد!

هاَتِ نشئاً صالحاً يبغي العلاَ *** ويفكُّ الضَّادَ من أَسْر الأعادي

هاَتِ نشئا قويّا باســــــــلاً *** إنْ دَجاَ خَطب يكن أوَّل فاد[3]

يصور لنا الشاعر النشء في صورة خير السلاح الذي يدافع عن الأمة في الأيام الحالكة، ويقول في موضع آخر مخاطبا الشباب العربي يدعوه إلى رفعة اللغة العربية ونشر الإسلام في كل أقطار العالم:

وارفع لواء الضاَد واهتف باسمها *** وانشرُ هُدى الإسلام فِي الأَقطار[4]

ولمكانة اللغة العربية في نفوس العرب عامة وفي قلب سحنون خاصة جعل من اسمها رمزا يطلق على شباب العرب –بني الضاد– في صورة ترمز لعظم هذه اللغة ويدعوهم في العديد من قصائده إلى الاهتمام بها مثل قوله :

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 319.

[2]: سورة الحجر، الآية 9.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 14.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 110.

هياَ بني الضاَد هــيّا *** جُند الشّباب تهيّا[1]

إنّ لابن الضّاَد عزماَ لو دعا *** نائي الآمال كالنَّجم استجابا![2]

وانشروا مجد بني الضّاَد *** كلّ مَجد غَيره إفْك وَزور[3]

❖ ***قضايا الأمة العربية:***

آمن "أحمد سحنون بأن قوة الأمة العربية تكمن في اتحادها وتماسكها فالعود ضعيف بمفرده قوي حين يجتمع وحرصا منه على إيقاظ مشاعر الإخوة المغاربة والعرب وتوحيد صفهم ضد المستعمر، فنظم العديد من القصائد في هذا الموضوع منها قصيدة "المغرب العربي" يقول:

"للمغرب العربي" صَولة ضاَر *** وثَوب مقدام علَى الأخطار

بالحب سَوف يعيد سالفَ مجده *** وبالاتحاَد يفوز بالأوطار!

كذب الذين نعوه بل لما يزل *** غاب الأسود وموطن الثّوار!

ياَ ويح أعداء العروبة مَنْ لَهم *** من فاتك الأنياب والأظفار؟[4]

من خلال هذه الأبيات يُصور لنا الشاعر قوة المغرب العربي المُتحد الذي لا يرضى إلاّ بالحرية والانتصار حيث شبهه بالأسد الضاري الذي لا يهاب المخاطر والأهوال، فويل للاستعمار الذي سيفنى تحت أقدام الثوار ويصبح مثل الهيكل المنهار.

إنّ رابطة الأخوة في الدم والدين ووحدة المصير المشترك تُملي علينا الاتحاد والوقوف جنباً إلى جنب مع إخوتنا المستضعفين في البلاد العربية مثل فلسطين التي مازالت تعاني إلى يومنا هذا بشاعة المحتل الغاصب، فنصرتها واجب على كل عربي غيور على أمته وهويته وفي هذا نظم

---

[1]:أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 191.

[2]: المصدر نفسه، ص 107.

[3]: المصدر نفسه، ص 112.

[4]: المصدر نفسه، ص 109.

"سحنون" العديد من القصائد نذكر منها:

أمواطئ أقدام النّبيين والرُّسل *** ومَوطن نسل الوَحي بورك من نَسل!

فداك العدا لا تقبلي قسمة العدا *** وللمَوت سيري لا تبيتي على دخلِ!

ولا تحْفلي بالنَّاس إن جار حكمهم *** عليك فإن الله يحكم بالَعدل![1]

يصور لنا الشاعر فلسطين بأنها موطن الأنبياء والرسل وموطن نسل الوحي المبارك ويدعوها إلى الاستمرار في الجهاد وعدم الاستسلام والرضوخ لدعوات التقسيم التي يدعو بها عدوها وعدونا أجمعين أولائك اليهود الغاصبين، وقد كان سحنون شديد التأثر بالقضية الفلسطينية فصورها في العديد من القصائد بأنها الجرح المفتوح العالق في نفسه الذي يأبى أن يندمل يقول في قصيدة "جرح فلسطين":

لله جرْحُك ياَ فلسطين *** قَدْ مزّقَ القلب منهُ سكّين

جُرْح مَضَى دَهْر ولم يندَملْ *** وَلاَ رثاَء أجْدَى ولاَ تأبينُ[2]

ويقول أيضا:

ياَ فلسطينُ متىَ يبرأُ جرْحك *** خبّريني ومتَى يطلعُ صبْحكْ؟

ومتىَ يجلو السَّنى هذاَ الدُّجى *** ومتىَ ياَ ليل يطوي الكشْح جنْحك؟[3]

من خلال ما سبق يظهر لنا جليا مدى تأثر الأمة العربية بالقضية الفلسطينية فهي جرح الكرامة الذي لازال ينزف إلى الآن، كما تطرق سحنون أيضا إلى بعض المظاهر السلبية سائدة في البلدان العربية مثل الطائفية والقتال بين الأخوة الأشقاء يقول:

ربّ رُحْماَك أَصْبَحَ الحكم الفاَصل *** عندَ الخلاف حدّ المُهنذْ

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 120.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 108.

[3]: المصدر نفسه، ص 110.

وغدَا الإخوة الأشقاَء أعداَء *** وشمل اتحاَدهم قَدْ تَبَدَّد[1]

في هاذين البيتين صورة لما آل إليه العرب فأصبح السلاح والحل في النزاعات وتفرق الأخوة وأصبحوا أعداء بعد أن كانوا سند لبعضهم البعض، ويقول أيضا:

أَفي "رجب" وهو شَهر حرام *** دماء تراق وحرب تشبْ؟

وليسَ لهاَ غَيرنا من وقُود *** فنَحن اللَّهيب ونَحنُ الحَطب

ولفتَ مواطنَنـــا فتنة *** أشد خســـارا بهـا من غلبْ

بهاَ شَهر الإخوان السّلاح *** وكل لقَتل أَخيه انتدبْ![2]

يتطرق "أحمد سحنون" في هذه القصيدة إلى مأساة قتل الأخ أخاه في النزاع الدموي الذي حصل بين فلسطين والأردن وبين فلسطين ولبنان، بسبب الفتنة التي أشعلها اليهود الملعونين، ويرسم صورة الأخوة المتفرقين بأنهم حطب النار ولهيبها في إشارة إلى أن كلاهما خاسران، يقول أيضا:

الطَّائفيَّة داءُ لاَ دواء لـــهُ *** وهلْ هناكَ دليلٌ مثل لبنان؟

وأيَّ داَء كداء الخلف إنَّ لهُ *** إنذار عاَصفة أوْ هول بُركان؟

إذْ دمّرَ الخلفُ ماَ شاَدَتْ مواهبهُ *** بناَر حرْب لها انساَقَ الشَّقيقاَن

لبنانُ موطنُ أدياَن وحيث ترَى *** تفريقَ دين تَرَى تفريقَ لأوطان[3]

صوّر لنا الشاعر الطائفية في صورة الداء الذي ليس له دواء لأنها تقضي على الأوطان وتشتت شملهم وتغرس العداوة والبغضاء بين أبناء الدين والبلد الواحد.

❖ *التغني بالأخلاق الحسنة:*

يتغنى سحنون في قصائده بالعديد من الظواهر الأخلاقية الحسنة المنتشرة في المجتمع العربي

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 128.

[2]: المصدر نفسه، ص 122.

[3]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 104.

عامة وفي الجزائر خاصة كالصدق والصبر والإيخاء وقوة التحمل التي تزيد من جمال أمتنا العربية فنبينا الكريم جاء ليتمم مكارم الأخلاق، يقول في قصيدة الصبر:

لاَ شَيء فَوْق أَدْيم الأرض يُعجبني *** كالصّدق بينَ الوَرى في القَوْل والعَمل

ولَيْس شيء لعمر الحق يؤْلمني *** مثل النِفاق ومثل الكذِب فيِ الرّجل[1]

وظف سحنون في هاذين البيتين التضاد (الصدق ≠ الكذب، يعجبني ≠ يؤلمني) ليرسم صورة فنية مُعبرة عن مدى حسن وجمال مَزيَّة الصدق، فالصدق ليس خلق حسن فقط بل هو أحسن خلق على وجه الأرض وضده الكذب والنفاق اللذان هما أبشع صفة في الإنسان، يقول أيضا:

إنَّنا بالصّدق والصبر انتصرناَ *** وغلبناَ كلَّ باغٍ وقهرناَ

وأضأناَ كُلَّ داجٍ وأنزلناَ *** ونهيناَ كُلَّ غاوٍ وأمرناَ

وبأخلاق النَّبيين اشتهرناَ *** وحمدناَ مَن حباناَ وشكرناَ[2]

يصور لنا هنا مكانة الصدق فهو خلق من أخلاق الأنبياء وسبيلٌ للانتصار والرفعة والوقار فمن حسن إيمان المرء حسن خلقه، لهذا كان الشاعر كثير التغني به والدعوة سعيا منه لنشر هذا الخلق في المجتمع حتى ولو جلب له مشاكل يقول:

نعمْ: إنَّ صدْقي سَوْفَ يُتعبني جدّاً *** ولكنْ بغيْر الصّدْق لاَ أَبتني المجدَا

فَإني بغيْر الصّدْق أخْلفُ مَوْعدي *** وَإنيّ بغير الصّدْق لاَ أَحْفَظُ العَهْدا[3]

فعلى الرغم من معرفته بأن الصدق سوف يتعبه إلاّ أنه يأبى تركه ويصوره بأنه مفتاح المجد والشرف والوفاء بالعهود، وفي صورة أخرى للصدق يقول:

وَقدْ كاَنَ خير الخَلق في الصّدْق قدْوَة *** لذلكَ يُدعى "الصّادق" الصَّادق الخُلق

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 136.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 46.

[3]: المصدر نفسه، ص 139.

وَلوْ أنّ خُلقَ الصّدْق يلبسُ صُورَةً *** تميّزُهُ كانَت لَهُ صُورَةَ الحقّ

وَفائدةُ الصّدْق الجميل عَظيمَة *** تُضارَعُهُ في النَّفع فائدةُ الوَدْقِ

فَكُنْ صادَقاً مَهْما لَقِيتَ مِنَ الأَذَى *** وَلَوْ أَنَّ خُلق الصّدق قادَكَ للشَّنْق[1]

جعل الشاعر من خلال هذه الصورة الفنية الصدق موازيا للحق إذ ألبسه صفته وذلك لعظمته ومكانته العالية، كما دعا إلى الحرص عليه مهما سبب من متاعب ومشاكل بل حتى وإن قاد صاحبه للشنق، كما تغنى أيضا بخُلق الصبر فيقول:

قوّةُ الصَّبر أشْبَهَت قوّة الطّوْد *** بدُنياَ الهُموم والأوْجال[2]

يصور لنا الشاعر من خلال هذين البيتين قوة الرجال على الصبر والاحتمال في المصائب والأهوال مُضاهية لقوة الجبال التي تحمي الأرض وتثبتها تصديقا لقوله عز وجل: « وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَميدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »[3]، وهذا ما يدل على عظمة هذا الخلق النبيل، يقول أيضا:

وبالصّبر يبنى كلُّ مجْد ويرتقىَ *** وبالصّبْر يعنُو كلُّ صَعْب منَ الأمْر[4]

أوضح من خلال هذه الصورة أن الصبر هو السبيل الوحيد لتحقيق النجاح والانتصار ورقي الأمة وتقدمها ولهذا كان سحنون دائم الدعوة إلى التحلي بالصبر وبالأخلاق الحسنة يقول:

وإذاَ أقفرَ الوجودُ منَ الأخلاق *** فالمَوْتُ والحياةُ سواء

لاَ وداد لاَ رحمة لاَ إخاء *** لاَ وفاء لاَ غيرة لاَ حياء[5]

---

[1]:أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 138.

[2]: المصدر نفسه، ص 137.

[3]: سورة النحل، الآية 15.

[4]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص209.

[5]: المصدر نفسه، ص40.

يتطرق الشاعر في هذين البيتين إلى حقيقة الأخلاق إذ يصورها بأنها منبع الحياة وبدونها يستوي الأحياء والأموات، فلا وداد ولا رحمة ولا إخاء فماذا بقي إذن في هذه الحياة كي نعيشه، ويصور في قصيدة أخرى الإيمان والالتزام بالدين والخلق الكريم بأنهم الكنز العظيم في الدنيا، فبفضلهم تستوي سلوكات الإنسان ويزدهر المجتمع يقول:

الدِّينُ والإيمانُ والخلقُ الكريمْ *** في هذه الدُّنياَ هيَ الكنزُ العظيم

هَذي الثَلاثُ أساسُ كلُّ سعادة *** فإذا عَدمْناَهاَ فدنياناَ جَحيم[1]

❖ ***الصداقة:***

لا يمكن أن نعتبر الصداقة ظاهرة اجتماعية خاصة بالمجتمع الجزائري فقط بل هي ظاهرة إنسانية موجودة بين معظم البشر بل حتى بين البشر والحيوانات أحيانا، غير أنّ ما يميز شعر أحمد سحنون هو حبه الشديد للصداقة فنجده دائم التغني بها، هذا ما يظهر جليا في ديوانه بجزأيه إذ لا تفوته مناسبة إلا وذكر أصدقائه وأشاد بهم وبالعلاقة الطيبة التي تجمعهم يقول في إحدى قصائده:

ما أوحش الدنيا بغير صديق *** ولو أنّها تغري بحسن بريق

إنَّ الحياة بلاَ صَديق مُخلص *** كالسّجن حف بظلمة وبضيق[2]

من خلال هذين البيتين نستشف صورة الحياة دون صديق التي تُشبه السجن في ظلمته وضيقه، فالمعاناة الناجمة عن عيش الإنسان وحيدا تجعله يشعر بضيق وظلام وتيه لأن حياته خالية من صديق ينير دربه ويؤنسه، ويقول أيضا:

وَماَ قيمَةُ الدُّنياَ بغيْر صَداقَة *** تخفّفُ ماَ نَلقى منَ الهمّ والغَمّ[3]

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص62.

[2]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، ص 289.

[3]: المصدر نفسه، ص 137.

في هذا البيت صورة تأكد المعنى الذي جاء في الصورة السابقة إذ أن الدنيا لا قيمة لها إذ كانت خالية من أصدقاء يشاركوننا الأفراح الأحزان ويخففون عنّا الآلام، فحقيقة الأصدقاء تظهر في المحن والمصاعب كما قيل قديما "الصديق وقت الضيق"، والصديق الكريم خير سلاح في هذه الحياة يقول الشاعر:

وإذا كانت الحياة كفاحًا *** فالصَّديقُ الكريمُ خيرُ سلاَح!![1]

يضع الشاعر في هذا البيت الصديق في منزلة أقوى الأسلحة في الحياة في صورة جميلة تعكس قيمة الصديق الحقيقي الذي يكون خير سند لأصدقائه في وقت الشدائد والمحن ويكون السلاح الذي يدافع به.

كما تطرق شاعرنا إلى الأخلاق والظواهر الايجابية في مجتمعه تطرق أيضا إلى بعض المظاهر السيئة المنتشرة بين أفراد المجتمع مثل الظلم والكذب والجبن والبخل والعداوة والبغضاء المنتشرة بين أبناء البلد الواحد والتي فتحت فجوة كبيرة بين العباد وفرقت بين أخوّة الإسلام يقول في هذا الشأن:

أتظْلمني وأنتَ أَخي المَرجَّى *** لدفع مُلمّة وهجوم خطْب؟

وتحزنُ أنْ رأيتَ سُرورَ نفسي *** وتفرحُ إن شعرت بحزْن قلبْي؟

وكيفَ تكونُ ذاَ وجه بشوش *** وقلب حشوهُ بغضي وحرْبي؟

وكيفَ تقابلُ الإحسانَ منّي *** بكلّ إساءة منْ غير ذنب؟

وكيفَ اخترتَ منزلةَ الأعَادي *** وأنتَ تُعدُّ من أهْلي وحزْبي؟[2]

لخصت هذه الأبيات في صورة فنية أمراض العصر "النفسية" التي يعاني منها بعض الناس فالحسد

---

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 11.

[2]: المصدر نفسه، ص 38.

والبغضاء والإساءة من طبيعتهم، فلا ينفعك إحسانك ولا حسن معاملتك لهم بل يختارون عدائك سرا ويُظهرون محبتهم نفاقا، ويقول في قصيدة أخرى ذامً النفاق:

لقدْ ألف النَّاسُ النّفاقَ فمنْ يكنْ *** صريحاً يلاَقي منهُم كلَّ إنكار

ولستُ بذي وجهين في النَّاسُ إنَّما *** مصير ذوي الوجهين حَتما إلى النّار[1]

يرفض سحنون أن يفسر شعره أو كلامه على نحو غير الذي قاله فهو صريح وغير منافق، وقد صور لنا صاحب هذا الخلق السيئ بأنه ذو وجهين ومصيره النار حتما في صورة فنية معبرة عن بشاعة هذا الفعل.

كان هذا عرضا لأهم المظاهر الاجتماعية التي تطرق إليها "أحمد سحنون" في شعره والتي سامت في رسم مختلف صوره الشعرية.

[1]: أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، ص 67.

نستخلص ممّا سبق أنّ:

- التراث الديني –بمختلف مكوناته– أهم وسيلة استعان بها الشاعر "أحمد سحنون" في تشكيل صوره الشعرية.
- لغة القرآن الكريم هي المنبع والمصدر الأساسي للشاعر في بناء قصائده فهي الدعامة الرئيسية في تشكيل صوره الشعرية.
- استعان "أحمد سحنون" بالحديث النبوي الشريف سواء بلفظه أو بمعناه في تشكيل سوره الشعرية ولإثراء قصائده.
- تعد الشخصيات الدينية عنصر من عناصر التراث الديني وقد استعملها الشاعر لترسيخ القيم والمبادئ والأخلاق الحميدة التي سما بها الرسل والأنبياء.
- استحضر الشاعر العديد من قصص القرآن الكريم فهي رافد مهم من روافد تشكيل الصور الشعرية إذ أنّها من التراث الديني الذي خلده القرآن الكريم والحديث النبوي ليكون عبرة ومغزى للعباد.
- تعد الطبيعة مصدرا هاما من مصادر تشكيل الصورة الشعرية عند "أحمد سحنون" إذ عبر من خلالها عن مختلف أحاسيسه وخلجاته النفسية .
- وظف الشاعر الطبيعة بشقيها الحية والجامدة، فاستعان بالإنسان (ذكر وأنثى) والحيوانات بأنواعها والنباتات المختلفة كعناصر طبيعية حية لتشكيل صور شعرية تتلاءم مع ما تحمله هذه الأخيرة من رموز ودلالات.
- كما استخدم الطبيعة الجامدة بما تحتويه من سمائيات (شمس، نجوم، قمر...) ومائيات (بحار، أنهار) ومختلف الظواهر الطبيعية الأخرى لرسم صوره الشعرية، وهذا يدل على حب الشاعر

للطبيعة وكائناتها إذ يظهر جليا لمتصفح ديوانه كثرة استخدامه لعناصر الطبيعة المختلفة سواء في رسم صوره الشعرية أو في تسمية قصائده.

- تعد المظاهر الاجتماعية وسيلة هامة من وسائل تشكيل الصور الشعرية عند "أحمد سحنون".
- اهتم "أحمد سحنون" بشكل كبير بمعالجة المشاكل والأوضاع الاجتماعية التي يعيشها مجتمعه من فقر وحرمان، وظلم الاستعمار...
- كان لشعر أحمد سحنون صدى واسع في المجتمع الجزائري، فزيادة على أنّه رجل إصلاح كما هو معروف فقد جاء شعره معبرا عن الأوضاع الاجتماعية السائدة في تلك الفترة، إذ دعا أبناء أمته لدفاع عنها وعن مبادئها للوصول للعلا والحرية.
- من أهم المواضيع الاجتماعية التي تطرق لها سحنون نذكر: التغني بالشهداء والثوار، معاناة السجن، حب الوطن الفخر باللغة العربية، قضايا الأمة العربية، التغني بالأخلاق الحسنة (الصدق ،الصداقة).
- كما سعى إلى تهذيب المجتمع ونشر الأخلاق الحسنة وذلك من خلال تطرقه إلى الأخلاق السيئة المنتشرة في المجتمع من نفاق وعداوة وحسد وغيرها.

خـاتمـة

بعد عرض موضوعنا الموسوم بـ "تشكيل الصورة الشعرية عند أحمد سحنون – نماذج مختارة–"، الذي قُسم إلى جزئين نظري تناولنا فيه مفاهيم نظرية، وتطبيقي تضمن تحليلا لبعض النماذج الشعرية،خلصنا إلى جملة من النتائج نوردها فيما يلي:

- يُعد التشكيل أهم مقومات القصيدة إذ يُكسبها طابعا جماليا فريدا.
- تعددت وتطورت مفاهيم الصورة وتسمياتها باختلاف المذاهب الأدبية والنقدية على مر الزمان.
- النقاد القدماء أوّل من تطرق إلى مفهوم الصورة من خلال دراساتهم البلاغية، أمّا النقاد المحدثون فقد أولوا الصورة عناية بالغة وكانوا السباقين إلى تحديد المصطلح.
- للصورة الشعرية أهمية بالغة في العمل الأدبي، إذ تعبر عن الحالة الشعورية للأديب والشاعر، كما تكمن أهميتها أيضا في الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي.
- "أحمد سحنون" ابن بيئته مثله مثل كل الشعراء فهي مصدر إلهامه وقد استقى منها صوره الشعرية فجاءت مُعبرة عمّا يشغله ويدور حوله.
- جاءت الصورة الفنية عند "أحمد سحنون" تلقائية أغلبها رسم هادف وليس مجرد تكتلات وتلاعب بالألفاظ والدلالات.
- يُعد التراث الديني أهم المصادر التي أثرت في تشكيل شعر" أحمد سحنون" وذلك راجع لثقافته الدينية.
- إستثمار "أحمد سحنون" للطبيعة كان له أثر كبير في شعره حيث استقى منها أبهى وأجمل صوره الشعرية.
- إستطاع "سحنون" أن يوظّف الصور الشعرية بمختلف مصادرها وأنماطها وأنواعها لخدمة قضيته وموضوعاته، وكان مرآة عاكسة لمجتمعه حاكى كل ما يدور فيه من قضايا وهموم وآلام.

وفي الختام نأمل أن نكون قد نجحنا إلى حد ما في تقديم لمحة عن تشكيل الصورة الشعرية عند أحمد سحنون من خلال نماذج مختارة من ديوانه، ووُفقنا في اختيار المنهج الملائم لذلك.

ملحق

نبذة عن الشاعر "أحمد سحنون":

1: حياته العائلية:

أ) <u>مولده ونشأته:</u>

هو أحمد سحنون بن سحنون الليشاني الجزائري، ولد سنة 1907م، ببلدة ليشانة، القريبة من طولقة (بسكرة)[1]. وهو ابن سحنون ابن إبراهيم، وأمه عائشة مكي بنت الحاج بلقاسم بن الطالب بن مكي، توفيت والدته وهو رضيع بعد أشهر من ولادته، فكانت أول محنة عاشها الشيخ وضلّت طوال حياته معه[2]. بعد وفاة أمه تولت عدة نساء إرضاعه، تقول ابنته عائشة سحنون "ذات مرّة قال لي أبي: لو أبحث سأجد أن جل أبناء ليشانة إخوة لي من الرضاعة"[3].

بعد ذلك "تكفل أبوه بتربيته وحاول أن يعوضه حرمانه من عاطفة الأمومة، فكان شديد الاعتناء به وكثيرا لصحبته بحيث كان لا يكاد يفارقه في جل وقته إلا قليلا. فغمره بعاطفته وربّاه أحسن تربية وزوده بنصائح وتوجيهات كان لها عظيم الأثر والفائدة في تكوينه النفسي وبنائه العقلي"[4].

ب) <u>زواجه وأولاده:</u>

تزوّج الشيخ 'أحمد سحنون' ابنة عمته السيدة 'قرمية بابا'، وأنجبت له أربعة أولاد وهم: محمد،

---

[1]: مجموعة أساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، تقديم: محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014م، ص 128.

[2]: ينظر: زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون –نموذجا– 1907–2003، مذكرة الماستر، قسم العلوم الإنسانية –شعبة تاريخ– جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2015/2014م، ص 49.

[3]: فرج حميدة، بناء القصيدة في الشعر الجزائري المعاصر أحمد سحنون أنموذجا، مذكرة الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، 2015/2014م، ص 07.

[4]: زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون –نموذجا– 1907–2003، ص 49.

رجاء، عائشة، زينب، فوزية وسعيدة. وبعد وفاة السيدة 'قرمية' سنة 1987م، تزوج بالحاجة 'فاطمة الزهراء عليوات'، التي لم تنجب له أطفالا[1].

2: حياته العلمية:

حفظ 'أحمد سحنون' كتاب الله وعمره 12 سنة، كما تعلّم مبادئ اللغة العربية والشريعة الإسلامية على يد مجموعة من المشايخ والعلماء[2]، وقد تلقى مبادئ التعليم على يد الشيخ محمد خير الدين وشيوخ زاوية طولقة، ولكنّه اعتمد على ثقافة عصامية، واتصل بالشيخ ابن باديس فكان يمده بالنّصح والتوجيه إلى أن أصبح من أركان الحركة الإصلاحية في الأربعينيات[3].

3: حياته المهنية:

في سنة 1936م اصطحبه شيخه 'فرحات بن الدراجي' إلى الجزائر العاصمة واشتغل مدرّسا في مدرسة الشبيبة الإسلامية، وفي سنة 1947م عيّن عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم عين أستاذا في مدرسة التهذيب فمديرا عليها[4]، وكان إلى جانب التعليم يشارك بقلمه السيال في جريدة البصائر يكتب الشعر والمقالات الإصلاحية الدينية[5].

تولى إمامة المسجد مع إدارة المدرسة في سنة 1947م وواكب حركة الإمام عبد الحميد بن باديس الإصلاحية، وفي سنة 1956م اعتقله الفرنسيون وأدخل سجن البرواقية، ثم نقل إلى معتقل بوسوي، ومكث في الاعتقال إلى غاية سنة 1959م، ولم ينقطع عن نظم الشعر، فأطلق على القصائد التي

---

[1]: ينظر: زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون –نموذجا– 1907–2003، ص 49.

[2]: جريدة الخبر، مقال صحفي بعنوان: الشيخ أحمد سحنون، صدر يوم 26 يونيو 2015م.

[3]: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 677.

[4]: مجموعة أساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص 128.

[5]: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 678.

نظمها في السجن اسم "حصاد السجن"[1].

وخلال فترة اعتقاله "حاول المستعمر استغلال مكانة الشيخ عند الشعب الجزائري وتأثيره فيه، فطلب منه أن يحذّر النّاس من المجاهدين ويبعدهم عن احتضان الثورة ودعمها فرفض وحكم عليه بالإعدام، ثمّ أطلق سراحه بعد ثلاث سنوات لأسباب صحيّة، فقام المجاهدون بتهريبه إلى منطقة باتنة ثم إلى سطيف ليواصل عمله وجهاده بين أفراد شعبه"[2].

وبعد الاستقلال عيّن إماما للجامع الكبير بالعاصمة، وعضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، وثمّة لم تخل حياته من المتاعب نظرا لمواقفه في سبيل التطبيق السليم للمبادئ الإسلامية في الجزائر المستقلّة، كوّن في سنة 1989م رابطة الدعوة الإسلامية التي تظم علماء ودعاة إسلاميين والتي ناضل فيها إلى غاية وفاته[3].

4: وفاته:

تعرّض الشيخ 'أحمد سحنون' إلى محاولة اغتيال وهو متوجّه إلى إمامة الناس في صلاة الفجر، كادت أن تؤدي بحياته إلّا أنّه نجا منها[4]، وأصيب بجلطة في الدماغ صبيحة يوم العيد، نقل على إثرها إلى المستشفى العسكري بعين النعجة، حيث وفّرت له رعاية صحية مركزة[5].

لكنه بالرغم من حالته الصحيّة المتدهورة إلّا أنّه بقي صابرا راضيا ومؤمنا بقضاء الله وقدره، حتى زفت روحه إلى بارئها ليلة الاثنين 08 ديسمبر 2003م الموافق ل 14 شوال 1424هـ، وقد

---

[1]: مجموعة أساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص 128.

[2]: جريدة الخبر، مقال صحفي بعنوان: الشيخ أحمد سحنون، صدر يوم 29 يونيو 2015.

[3]: محمد بوقفحة، شعر الثورة عند أحمد سحنون، مذكرة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، 2008/2007م، ص 200.

[4]: زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون –نموذجا– 1907–2003، ص 53.

[5]: فرج حميدة، بناء القصيدة في الشعر الجزائري المعاصر أحمد سحنون أنموذجا، ص 15.

ووري جثمانه التراب بمقبرة سيدي يحيى بلدية مراد رايس، ظهيرة يوم الثلاثاء 09 ديسمبر 2003م، بعد أداء صلاة الجنازة عليه في مسجد أسامة ابن زيد، وهو المسجد الذي كان يؤمه المرحوم[1].

❖ **آثاره:**

"تغلب على شعر 'أحمد سحنون' نزعة وجدانية، ويبدو في شعره التأثر الواضح بمدارس العصر الإحياء، المهجر وأبولو. ومن أصدق شعره عاطفة تلك القصائد التي نظمها في المعتقل أبان الثورة، وهو يجمع إلى موهبة الشعر موهبة الخطابة أيضا"[2]. وقد ترك 'سحنون' مجموعة مؤلفات منها المطبوع ومنا المخطوط نذكر أهمها:

أ) المطبوع منها:

- الديوانان: الديوان الأول 1977م، وطبع ضمن سلسلة شعراء الجزائر التي تصدّرتها الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، ويضم حصاد السجون والقصائد التي نشرها في البصائر في الجزء الأول. أمّا حصاده الثاني الذي طبع سنة 2007م من ديوانه الشعري فيضم تلك القصائد التي نظمها في الإقامة الجبرية والفترة التي تلتها[3].

والديوان الأول يضم 193 قصيدة، في 336 صفحة. أمّا الديوان الثاني فيضم 411 قصيدة في 416 صفحة.

- "دراسات وتوجيهات إسلامية" سنة 1981م.
- "ندوة الفرسان" (مجموعة شعرية).

---

[1]: ينظر :زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون –نموذجا– 1907–2003، ص 53.

[2]: ينظر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 678.

[3]: زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي، ص 54.

ب) المخطوط منها:

- "تساؤل وتفاؤل" (ديوان شعر).
- "كنوزنا" (يحتوي على نصوص من عيون التراث والأدب العربي).
- ديوان شعر خاص بالأطفال.
- منبر الوعظ والإرشاد (مجموعة مقالات دينية وسياسية)[1].

[1]: ينظر: مجموعة أساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص 129.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

1) ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1999م.

2) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

3) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي، القاهرة، 1952م.

4) أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 2009م.

5) أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م.

6) أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، ج2، منشورات الحبر، الجزائر، 2007م.

7) الجاحظ، الحيوان، ج3، تح، عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط2، 1965م.

8) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1998م.

9) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1963م.

10) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مدرسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت، ط8، 2005م.

11) مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت،ط2، 1984م.

12) محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.

المراجع:

المراجع العربية:

1) إبراهيم أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة والنشر، 2000م.

2) إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م.

3) ابن الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، ج3، دار الفكر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط2، 1962م.

4) ابن كثير، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، مكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 1998م.

5) ابن كثير، قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1988م.

6) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج2، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.

7) الوالي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.

8) بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.

9) بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة بيروت، بيروت، 1987م.

10) ثائر العذري، في تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010م.

11) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م.

12) جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، ط7، 1992م.

13) زكية خليفة مسعود، الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط1، 1999م.

14) زين العابدين بن زياني، مصادر تشكيل الصورة ودلالتها في الشعر الملحون الجزائري، جامعة البويرة.

15) سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، ط2.

16) سمير علي سمير الدليمي، الصورة في التشكيل الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، ط1، 1990م.

17) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9.

18) عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1988م.

19) عدنان الرفاعي، المعجزة الكبرى، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1.

20) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013م.

21) علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري –دراسة في أصولها وتطورها–، دار الأندلس، ط2، 1981م.

22) علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، 1981م.

23) علي صبح، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دط.

24) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.

25) علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط4، 2002م.

26) عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق، بيروت، 1975م.

27) مجموعة أساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، تقديم: محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014م.

28) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة بيروت، بيروت، 1986م.

29) محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، ص 33.

30) محمد علي هدية، الصورة في شعر الدواوين، القاهرة، ط1، 1994م.

31) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة القاهرة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.

32) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.

المراجع المترجمة:

1) جون كوين، النظرية الشعرية، تر: أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

2) سيسل دي لويس، الصورة الشعرية، تر: أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.

كتب الحديث النبوي:

1) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج1، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1991م.

2) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2002م.

3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

4) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م.

5) صالح أحمد الشامي، الجامع بين الصحيحين للإمامين: البخاري ومسلم، ج2، دار القلم، دمشق، ط2، 2011م.

الرسائل الجامعية:

1) أحمد عفيفي، الصوت المختلف علي جعفر العلاّق في تجربته الشعرية والنقدية والإنسانية، دار فضاءات، عمان، ط1، 2011م.

2) رحمة مهدي علي البريمي، بناء القصيدة الوجدانية عند شعراء المدينة المنورة المعاصرين، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005م.

3) زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون –أنموذجا– 1907–2003، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية –شعبة تاريخ–، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014م.

4) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون–أنموذجا–، مذكرة الماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2008/2007م.

5) فارس حسن محسن السلطاني، وصف الطبيعة في شعر الجوهري، جامعة الكوفة، كلية الفقه.

6) فرج حميدة، بناء القصيدة في الشعر الجزائري المعاصر أحمد سحنون أنموذجا، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015/2014م.

7) كاوة إسماعيل عبد الله، الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس، رسالة مقدمة لإكمال متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة السليمانية، 2008م

8) كبلوتي قندوز، مصادر الصورة الشعرية عند شعراء المدينة في العصر الجاهلي –قيس ابن الخطيم أنموذجا–، جامعة محمد شريف مساعدية، سوق أهراس.

9) محمد الأمين شيخة، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث، أطروحة دكتوراه، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009/2008م.

10) محمد بن عمر بن صالح الجديعي، المائيات في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، مذكرة الماجستير، كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، 2015م

11) محمد بوقحفة، شعر الثورة عند أحمد سحنون، مذكرة الماجستر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة وهران، 2008/2007م.

12) وفاء محمد شحدة عرامين، الصورة الشعرية عند علي جعفر العلاق، عمادة الدراسات العليا، برنامج اللغة العربية، جامعة الخليل، فلسطين، 2017م.

المجلات:

1) آدم محمد أحمد الحاج الزاكي، محمد داود محمد داود، شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي بين الأصالة والتقليد، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد 15، 2014م.

2) جريدة الخبر، مقال صحفي بعنوان: الشيخ أحمد سحنون، صدر يوم 26 يونيو 2015م.

3) عبد الحميد قاوي، الصورة الشعرية قديما وحديثا، مجلة ديوان العرب، 29 أغسطس 2008م.

الفـهرس

الفهرس

المحتويات	الصفحة
مقدّمـــــــــة	أ
الفصل الأوّل (مفاهيم نظرية حول تشكيل الصورة الشعرية)	4
1: مفهوم التشكيل.....	5
أ) المفهوم اللّغوي.....	5
ب) المفهوم الاصطلاحي.....	6
2: مفهوم الصورة.....	7
أ) المفهوم اللغوي.....	7
ب) المفهوم الاصطلاحي.....	10
3: مفهوم الصورة الشعرية عند النقاد القدامى والمحدثين.....	11
أ) عند القدامى.....	11
ب) عند المحدثين.....	14
4: خصائص الصورة الشعرية.....	22
❖ الإيحاء.....	24
❖ الشعور.....	25
❖ الحيوية.....	26
❖ العمق.....	27
5: عناصر الصورة الشعرية.....	29
❖ الحجم.....	29
❖ الشكل.....	29
❖ الموقع.....	30
❖ اللون.....	30
❖ الحركة.....	30
❖ الطعم.....	31
❖ الرائحة.....	31
6: أهمية الصورة الشعرية.....	32
الفصل الثاني: مصادر تشكيل الصورة الشعرية عند "أحمد سحنون"	35
1: التراث الديني.....	37
1-1: اقتباس لغة القرآن الكريم.....	38

1-2: الاقتباس من الحديث النبوي الشريف.....	48
1-3: استدعاء الشخصيات الدينية.....	51
1-4: تضمين القصص القرآني.....	56
2: الطبيعة.....	64
2-1: الطبيعة الحية.....	66
2-2: الطبيعة الجامدة(الصامتة).....	79
3: المظاهر الاجتماعية.....	86
❖ التغني بالشهداء والثوار.....	86
❖ معاناة السجن.....	89
❖ حب الوطن.....	90
❖ الفخر باللغة العربية.....	92
❖ قضايا الأمة العربية.....	94
❖ التغني بالأخلاق الحسنة.....	96
❖ الصداقة.....	99
خاتمـــــــــــــة.....	103
ملحق (يتضمن نبذة عن حياة الشاعر).....	107
قائمة المصادر والمراجع.....	115
الفهرس.....	121